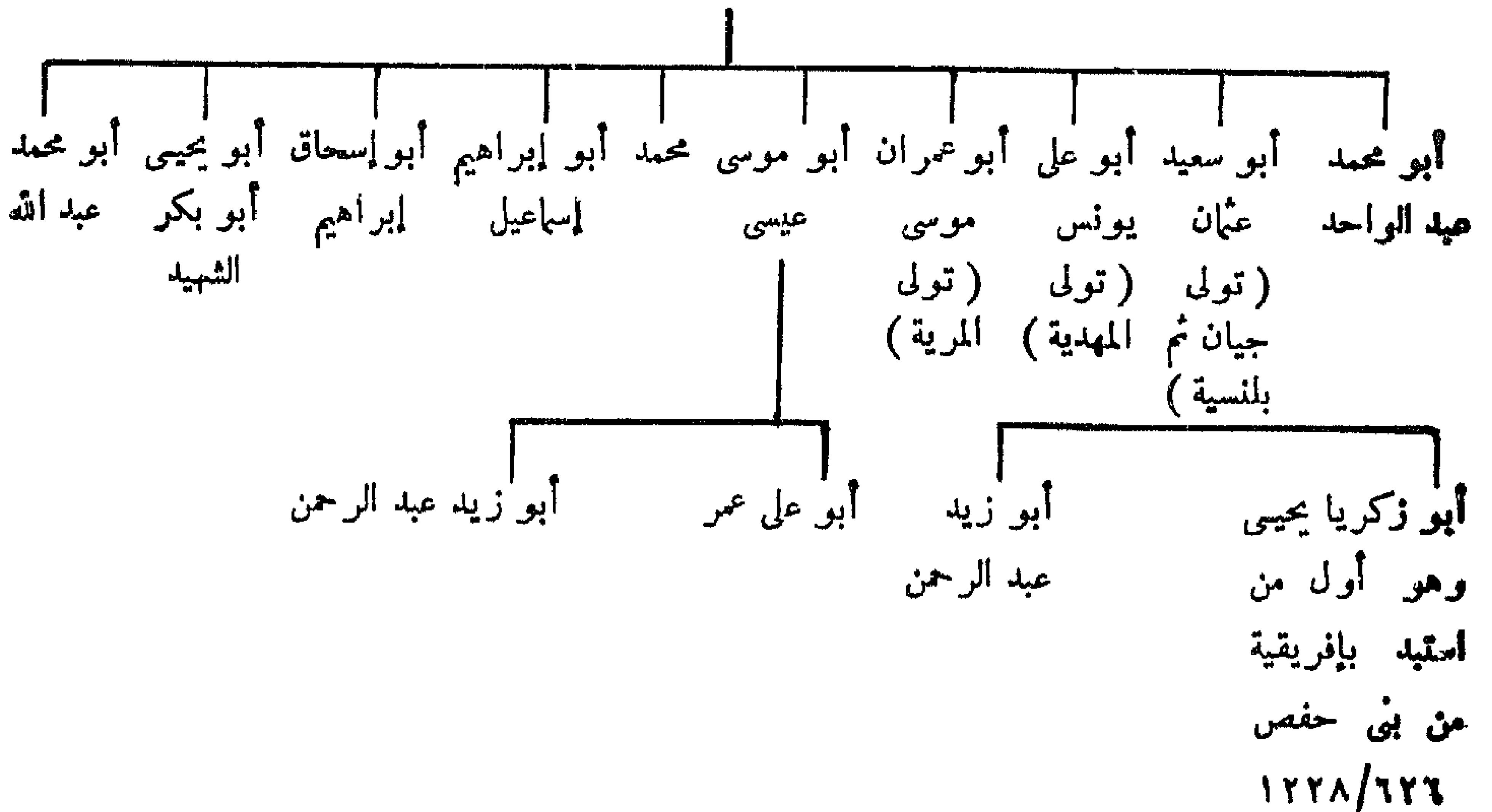


المائة السابعة

نبدأ بالذين يُبدأ بهم الذكر الجميل أو يُختتم ، ومن منشور حكمهم ومنظومها
يُنثر في أوصافهم ويُنظم ، أهل البيت المبارك الحَفَصِيُّ^(١) ، المستولي بأدنى
السعى على الأمد القَصِيّ ، بيت الخلافة السعيدة ، والإمارة التليدة ، ذات المحائد

(١) إليك جزءاً من شجرة نسب الحفصيين ، بينا فيه الظاهرين من أوائل رجال هذا
البيت وتسلسل نسب من ترجم لهم ابن الأبار في الحلة السيرة منهم :

أبو حفص عمر



انظر الجداول الكاملة لنسب الحفصيين في نهاية الجزء الثاني من كتاب :

ROBERT BRUNSCHWIG, *La Berbérie Orientale sous les Hafsides*, Paris 1947.

الظاهرة والمحامد المتظاهرة ، لازالت مِنْحُها صوراً مجلوة ، ومدحها سورا مقلوة ،
فأولهم وأولاهم بالتقديم للاشتراك في شرف الأبوة والانفراد بكرم الأخوة :

١٥٩ - أبو زيد عبد الرحمن ابن الشيخ المجاهد المقدس أبي محمد

[١٦-١] / وَلىَ بعد أبيه رضوان الله عليه إفريقية في غرة المحرم سنة ثمان عشرة وستائة
وإثرَ دفنه في اليوم الذي توفي فيه ، وذلك ضحى يوم الخميس منسلخ شهر ذى الحجة
من السنة قبلها ، فكان له الأثر الحميد والصيت البعيد^(١) ، وبلغ في السماح
والبأس ما ليس عليه مزيد ، ثم صُرف وانتقل إلى المغرب ، وولىَ بَطْلِيُونُس
وتغورها بالأندلس ، ولحق بمرّاكش بعد ذلك ، فاستشهد هنالك سنة خمس
وعشرين وستائة . وهو القائل من قصيدة في شكاية أصابت أباه ، لا زال صوب
الغمام يسقى ثراه :

يا دهرُ مالك ضاحكاً وعبوساً أتعيرُنا بعدَ النعيمِ البوسا ؟
ولقد عهدتكَ ضاحكاً متهللاً تهدي القبولَ وتبذلُ التائيسا
أثرأك تجزع من شكايةٍ ماجدٍ - أضحي لزُهرِ النيرات جليسا ؟
ملكٌ تدرّع من عنايةٍ ربِّه - درعاً غدت للعالمين لبوسا
لو جاءه عيسى بزئٍ معالجٍ قصداً لأفحم بالتوكلِ عيسى
ساس الزمانَ فكان من عبداًنه - والصعبُ منقادٌ إذا ما سيسا

(١) الأصل : الحميد ، وهو وهم من الناسخ ، إذ تستبعد سمعتان بنفس اللفظ .

ناهيك من متبرِّع متورِّع كسر الصليب وأخمِ الناقوسا
 ملكٌ حمى إفريقيةً وذمارها لما غدا ليثاً وتونس خيساً^(١)
 لا يرتضى العصب المهند خادماً إلا إذا اقتحم الكفاة وطيسا
 فإليه تستبق الجوارى شرَّعاً وإليه تحت الحداة العيسا
 وله أيضاً من قصيدة :

هل الجدُّ إلا ما تجرُّ العزائمُ ؟ وإن ريعَ يوماً فالسيوفُ تمامُ
 وإن لاح من وجه الزمانِ تبهمُ فوجهك وضاحٌ وثغركَ باسمُ
 ومنها :

سأفرى أديم الأرض في طلب العلا وأركب عزماً لم تقذه العزائمُ
 / وأخطبُ آمالي بما هو مطلبى ولو منعني الفاتكاتُ الصوارمُ [١٦٧-ب]
 وحسبي عصبٌ صادق العزمِ صارمُ ألدُّ إذا كان الزمانُ يخاصمُ
 أشيمُ به البرقُ اليماني مؤهناً وأهدي به السارين والليلُ عاتمُ
 وله أيضاً :

أيا حمَّامُ هل لك من ضلوعي زفيرٌ أولك الدمعُ السفوحُ
 فقد أشبهتني ماءً وناراً وهيات المعنى والسريحُ

(١) الخيس عرين الأسد ؛ هذا ويلاحظ أن الوزن يقتضى أن يُنطقَ لفظ « إفريقية »

الوارد في الأصل هكذا : « إفريقية » ، إلا إذا افترضنا قراءته « إفريقية » .

١٦٠ - أبو زيد عبد الرحمن ابن الشيخ المكرم أبي موسى

كان بقرطبة في إيالة عمه الشيخ المكرم أبي العباس ، وبعد ذلك صار إلى
مرّاكش عند انبعاث الفتنة المبيرة بالمغرب ، فهلك هنالك ؛ وكان لِدَّةَ أخيه
المذكور بعده ، وُلِدَا جميعاً سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ، وهو القاتل في وسيم
شاكّ السلاح ، وأجاد ما أراد :

يكفيك يا مُعْتَقِلَ السَّمْهَرِي ما نالنا من طَرْفِكَ الْإِحْوَرِ
إن كنتَ من جُنْدِكَ فِي قِلَّةٍ فَأنتَ من لَحْظِكَ فِي عَسْكَرِ

١٦١ - أخوه أبو علي عمر

وَلَّى بالأندلس جَيَّانَ وَغَيْرَهَا ، وكان في سنتي ثمان عشرة وتسع عشرة
وستمئة على خيل بَلَنْسِيَّةٍ ، في إيالة عمه الشيخ المكرم أبي سعيد رِضْوَانِ اللَّهِ
على جميعهم ، ثم وَلَّى في هذه الدولة المباركة ، التي بها انتصار الإسلام وافتخار
الأيام ، مدينةَ بَجَايَةِ وَقْتًا ، وهو على قاعدة المهديّة من شهر الله الأصم رجب سنة
ثمان وثلاثين وستمئة إلى وقتنا هذا ، وهو شهر الله الحرم من سنة ست وأربعين .

وفي شهر ولايته ، ثم في يوم الخميس الثاني منه كانت البيعة المباركة بولاية
العهد الكريم لمولانا الأمير الأجل الأسعد المبارك الأَرَضَى الأُمَجد أبي يحيى أيد الله
مقامه ، وقصر على نظم الفتوح ونثر المُنوح ظَعْنُهُ ومُقامه . وكان لأبي عليّ هذا ،

[١٦٨-١] وَصَلَ اللَّهُ علاءه / في ذلك اليوم الأعز الأغر مقام محمود ومقال محمود .

ولعَبدِهِمْ^(١) ، المقتصرِ على خدمةِ مجدِهِمْ ، بما لا يقصُرُ فيه من تحبيرِ مدحِهِمْ ،
وتحريرِ حمدِهِمْ ، كلمةٌ إذ ذاك يرجو لأن يتجددَ له بها قبولٌ ، ويسعدَ مأمولٌ
بمأمولٍ ، أولها :

أشاد بها الداعي المهيّبُ إلى الرُّشدِ فهبَّ لها أهلُ السعادةِ بالخُلدِ
ولايةُ عهدٍ أنجز الحقُّ وعدَهُ بتقليدها من أهله الصادقِ الوعدِ
وبيعةُ رضوانٍ تبلّجَ صُبْحُها عن القمرِ الوضاحِ في أفقِ المجدِ
تجلّتْ ، وجلّتْ عِزّةُ فليومِها من الدهرِ تفويفُ الطّرازِ من البردِ
وحلّتْ بسعدِ الأسعدِ الشمسُ عندها فأيدّ في أثنائها السعدُ بالسعدِ
ولما أنت بين التهاني فريدةٌ تخيّرَها التوفيقُ في رجبِ الفردِ

ومنها :

أبى الدينُ والدنيا ولاةٌ سوى بنى أبى حفصِ الأَقمارِ والسُّنُجِ والأُسُدِ
وإن ضايقتُ فيها الملوكَ وعددتُ مناقبَ تحكى الشُّهبَ في الظُّلَمِ الرُّبْدِ
فإن كتابَ الله يَفْضُلُ كلَّهُ وقد فضّلته [بينها] سورةُ الحمدِ
وفي شجراتِ الروضِ طيبٌ معطرٌ صَبَاهُ والأَنْرُجُ ما ليس للرَّندِ
وكلُّ سلاحِ الحربِ بادٍ غناؤه ولكنْ لمعنى أوثرَ الصَّارمُ الهندي
على زكريّا بن يحيى التقي الرُّضَا كما التقتِ الأنداءُ صُبْحاً على الوردِ
على المرتضى بن المرتضى في أرومةِ نَمَتْ صُعُداً بالنَّجْلِ والأبِ والجِدِّ
على المكتفى والمقتفى نهجَ قصدهِ ومُشْبِهِهِ في البأسِ والجودِ والجِدِّ

(١) الأصل : ولسعدِهِمْ ، والصحيح ما أثبتناه . وابن الأبار يريد هنا نفسه ، والشعر

من نظمه . وانظر مولر : ص ٣٢٥ .

وشعر أبي عليّ ، أعزه الله ، كثير . وقد وقفتُ على ديوانه ، وسمعتُ منه
غير قصيدة وقطعة بلنظهِه ، ومن ذلك كلمةٌ بعث بها إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم
[١٦٨-ب] صحبة الحاج أبي بكر بن العربي / الإشبيلي أوّلها — وأنشدني جميعها :

أصبحَ من صبره على أملٍ	قسّم بين الوجود والعدم ^(١)
إليك ألقى بـمُـذرٍ محتشمٍ	صباحي القلب ساكني القدم ^(٢)
يُتْبِعُ ركبَ الهوى إليك أسيّ	ما شاء من حسرةٍ ومن ندمٍ
برّح شوقٌ به إليك فما	ينفكُ — ما لم يزرك — في ضرمٍ
ألوى به عن بلوغ نيقه	حكمُ زمانٍ عليه محكمٍ
فعزّةٌ تلتوى على عقبٍ	وهمّةٌ ترتى إلى أممٍ

ومنها :

يا خيرَ من تُعملُ المطيُّ له	عُذري في اللبثِ غيرُ متهمٍ
عبدك لو يستطيع جاب إليه	لك القفرَ في غيبٍ من الظلمِ
يمسح ^(٣) ما بينَ خِصَمِه منه إلى	يثرِبَ مرّاً بوجنةٍ وفمٍ
ولي ذنوبٌ وقصصني ثَقَلًا	لولا أذى ثَقَلِهتِ لم أقمِ
يرجوك يا شافعَ البريةِ أن	تشفعَ فيها لِبارئِ النَّسمِ
عسى قبولٌ لديك مُلِحِقُنِي	بقـبرك المستنير والحرمِ
وصاحبيك اللذين خصّهما	بنعمة القرب منك ذو النعمِ
فقد توسّلتُ بالذي لك عند	مدّ الله من رفعةٍ ومن عِظَمِ

(١) إلى يمين هذا البيت حرف « خ » وإلى يساره حرف « ق » .

(٢) إلى يمين هذا البيت حرف « ق » وإلى يساره حرف « ق » .

(٣) الأصل : يمسح .

صلى عليه الإله ما اتصفتُ أوصافهُ بالجلال والكرم
وله في وصف سيفٍ :

يسيلُ إذا ما سُلَّ ماءٌ ويامتطى لهيباً على الإتلاف يأتلفان
كانَ جدولاً مستقبلاً شفق الدجى فلا يققُ منه العبابُ وقان
وله في صِنابٍ ^(١) أهدى إليه وألغز بوصفه من أبيات :

بعثتَ بما يُشْتَهَى يا ابنَ عمِّ فدُمتَ ، ودامت عليك النعمُ
بأبيضَ كالمخضٍ لكنه به شِدَّةٌ تستثير القرمُ
طفاوتهُ تحتها لجةٌ بلا ضرمٍ دهرها تضطرمُ
كثيرُ الخرافةِ مستعذبٌ عليها والمِلح فضلٌ علمُ
لسوَرته سطوةٌ بالأنوفِ وليس لعمرك مما يُشمُ
شفاءٌ ولكنَّ نعمَ الشفاءِ لمن ظل يشكو بداء البشمُ
وقد يجتري الجفلى باليسيةِ ير منه وليس لأمرٍ يُذمُ

وكتب إلى مع تمر أهداه ، حرس الله سنّاه وسنّاه :

أنتك خليقاتٍ بحسن الخلائق بها غنيةٌ عن كل ما في الحداثق
سليلاتٍ جبار حكي وشطّ دوحه خوافق بالمرّان فوق الفيالق
حواملٍ لم تُعلم مواقيتُ حملها ولا حُمّلت من فمٍ حُكّم طالق
تجود إذا ما الجودُ عمّ بعزّه وسحّ من الخضراء سحّ بواقق
ممنّعةٌ في سامقٍ ما ارتقت لها بنانٌ ولا بانّت بها يدُ سارق

(١) الصّنباب صباغ يتخذ من الخردل والزبيب وهو صباغ يؤتدم به ، والمصنّب المولع
بأكل الصناب (اللسان ١٩/٢) . والمراد بالصباغ هنا ما نسميه في اللغة الجارية صلصة = sauce

عناكلها مثلُ الشُّدُورِ تذلَّلتْ
 فللنَّضْرِ منها حُسْنُ لَوْنٍ لَنَاظِرٍ
 كأنَّ بما تُبدى وتُضمر أنسبتْ
 لها جسمٌ أَوَّاهٍ شحوباً ومن نوى
 وما ضرَّها إذ قد أباحت لطاعمٍ
 ومنها :

فصنحاً عن المهدى ومهدى ورُقعةٍ
 / ويرى إذا يرى القوافي بصائبٍ [١٦٩-ب]
 وقد كان يُصمى حين يرى كأنما
 سرى دهره في نشره فتفرقتْ
 فراجمته بأبيات منها :

أمولاى حقَّ العبدِ تقريرُ عُذْرِهِ
 مَنَاحُ أَسَدَتْهَا مَنَاحٍ كَرِيمَةٍ
 وَتَبْرِيةُ الْأَكَامِ شَهْدِيَّةُ الْجَنَى
 لها عَجَمٌ في العُربِ وَلَدٌ مُنْجِبَا
 كأنَّ بأعلاها إذا احمرَّ بُسْرُهَا
 كأنَّ بها المَاضِيَّ يَجْمَدُ تَارَةً
 كأنَّ الذي تُهديه من تمرها اغتذى
 إذا هو لم يَلَقَ الحقوقَ بلائِقِ
 تُقَوِّفُ للأُحْدَاقِ مِثْلَ الحَدَائِقِ
 حَلَّتْ وَتَحَلَّتْ زَاكِيَاتِ الْخِلَاقِ
 وَحَسْبُكَ منها بالسَّوَامِي السَّوَامِقِ
 مشاعلَ تَهْدِي في الدجى كلَّ طَارِقِ
 وَيَقْطُرُ من راقِ المِكَانَةِ رَاقِ
 بِرِيقَةٍ مَوْمُوقٍ وَرَقَةٍ وَامِقِ

مَنْتَ بِهَا مَنْشُورَةٌ وَشَفَعَتَهَا بِمَنْظُومَةٍ كَالْعَقْدِ فِي نَحْرِ عَاتِقِ
مِنَ الْكَلِمِ اللَّائِي انْتَمِينَ إِلَى الْعَلَا وَشَرَّفَنَ بِالتَّسْدِيدِ بِيضَ الْمَهَارِقِ

فكتب مجاباً وللتشريف المنيف واهباً :

أَنْتِ نَخْبَا مِنْ نُورِهَا نُورُ شَارِقِ وَلاَحَتْ فَلَمْ يُلَمَّحْ وَمِيضٌ لِبَارِقِ
وَجَاءَتْ مَوْشَاةٌ مِنْ أَقْلَامِكَ الَّتِي بِرِيقَتِهَا رَاقَتْ صِفَاحُ الْمَهَارِقِ
فَمَا شِلْتُ مِنْ لَفْظٍ لِمَعْنَاهُ حَافِظِ وَخَطٌّ لَهُ حَظٌّ مِنَ الْحُسْنِ فَائِقِ
فَرَوْضُ بَنَانٍ فَاتِنٌ حُسْنُ زَهْرِهِ وَرَوْضُ بَيَانٍ مَثْمَرٌ بِالْحَقَائِقِ
جَلَوْتَهُمَا فِي رُقْعَةٍ فَارَتْ لَنَا مَحَلٌّ مُحَلَّلَةٌ وَأُورَاقٌ رَائِقِ
/ وَكَالْخَمْرِ إِطْرَابًا وَلَسْكَنٌ سُكْرَهَا تَحْوَلُ شُكْرًا لِلْمُدِيرِ الْمَوَافِقِ [١-١٧٠]
كَأَنَّ بَرِيقَ الْخَبْرِ فِي صَفْحَاتِهَا يُرِيقُ عَلَى رَأْدِ الضُّحَى رِيقَ عَاشِقِ
غَدَتْ بِأَحْوَارٍ تَسْتَبِي كُلَّ مَقْلَةٍ وَتُغْرِى بِتَبْرِيحِ الْهَوَى كُلَّ رَامِقِ
تَمِيسُ بِرِيحِ الْحُسْنِ زَهْوًا سَطُورُهَا كَمَا مَسَ خُوطُ الْبَانِ وَسَطَ الْخَدَائِقِ
مِنَ اللَّوْثِ الْمَنْظُومِ لَفْظًا تَعَطَّلَتْ بِأَلَانِهِ لَأَلَاءِ دُرِّ الْخَائِقِ
تَهَدَّتْ فَاسْتَتْ عَنْ هَوَى كُلِّ عَاشِقِ وَأَغْرَى بِصَمْتٍ قَوْلَهَا كُلَّ نَاطِقِ
مَطْرَزَةٌ مَا الْبُرْدُ مِنْهَا وَإِنِهَا لَمِنْهُ وَمَا سَبَقُ الْعُصُورِ بِلَائِقِ
لَهَا نَعْمَةٌ تُهْدَى بِهَا أَكْوَسُ الطَّلَا وَتُحَدِّى الْمَهَارَى بَيْنَ سَاقٍ وَسَائِقِ
كَأَنَّ بِهَا نَارًا تَشَعُّشَعُ لِلْقَرَى فَيَعْشُو إِلَيْهَا كُلُّ سَارٍ وَطَارِقِ
أَهْبَتْ بِهَا سَرًّا فَلَبَّتْ مَجِيبَةً بِهَزَّةٍ مَعْشُوقٍ وَطَاعَةِ عَاشِقِ

فجاءت كما شئت وشئت مقيمةً وخافقةً بأحسن في كلِّ خافقٍ
 وجئت بهذى مثل هادٍ وصائدٍ وقد شاف أطلالَ العقاب^(١) يباشقٍ
 ومن يقتحمُ ما لا يُطيق اقتحامه يُلاقِ الذي بالحرِّ ليس بلائقٍ
 فكتبت إليه ممتدحاً [...]^(٢) فناء مستمنحاً :

لَمَنْ كَلِمٌ كَاللُّؤْلُؤِ الْمُتَنَاسِقِ لَهَا فَضْلٌ مُوصُوفَاتِهِنَّ الْبَوَاسِقِ ؟
 نَفَائِسُ كَالْأَعْلَاقِ تَجْتَذِبُ النَّهْيَ لِفِتْنَتِهَا مِنْ حُسْنِهَا بِعَلَائِقِ
 جَلَائِلُ الْفَاطِئِ إِذَا مَا قَرَأَتْهَا قَرَيْتَ مَعِينًا مِنْ مَعَانٍ دَقَائِقِ
 يَجِيشُ بِهَا بَحْرٌ مِنَ الْعِلْمِ وَالنَّدَى حَبًّا كُلُّ أَفْقٍ مِنْ حُلَاهِ بِفَائِقِ
 مَلَائِكَةٌ سَيِّقَتْ لِتَشْرِيفِ سَوْقَةٍ وَحَسْبُ الْأَمَانِي مِنْ مَسْوَاقِ وَسَائِقِ
 [١٧٠-ص] / مَطَهْرَةُ الْأَعْرَاقِ لَيْسَ لِمَعْبَدٍ بِأَبْيَاتِهَا شِدْوٌ وَلَا لُمُخَارِقِ
 نَمَتْهَا الْمَعَالِي وَالْهَدَايَةُ وَالْتَقَى فُجَاءتْ لِعَادَاتِ الْقَرِيضِ بِخَارِقِ
 أَلَا بِأَبِي مِنْهَا هَدْيٌ بِلَاغَةٍ تُنَاغِي الْمَهْمَى مَحْجُوبَةً فِي الْمَهَارِقِ
 شَقِيقَةُ رَوْضِ الْحَزَنِ بِأَكْرَهُ الْحَيَا فُخْيَا بِفَضْلِي نَرْجِسٍ وَشَقَائِقِ
 أَطَالَعُ مِنْ قُرْطَاسِهَا كُلَّ غَارِبٍ مُحَاسِنَ تَلْقَانِي بِطَلْعَةِ شَارِقِ
 وَأَلْتَمِسُ مِنْ أَسْطَارِهَا كُلَّ فَاتِنٍ بِمَا يَجْتَلِي مِنْ رَقْمِهَا كُلِّ رَامِقِ
 وَلَوْعًا يُمْنِي نَمَنْمَتْهَا حَدِيقَةٌ تَزْهَدُ أَحْدَاقَ الْوَرَى فِي الْخَدَائِقِ
 كَأَنِّي مِنْهَا فِي نَسِيمٍ نَوَافِحِ تَهْبُ أَصِيلًا أَوْ شَمِيمٍ نَوَافِقِ^(٣)
 تَدَانَتْ رَحِيمًا شَاوُهَا وَتَبَاعَدَتْ فَضَاقَ نَطَاقًا عِنْدَهَا كُلُّ نَاطِقِ

(١) الأصل : أطلال العقاب .

(٢) بياض في الأصل . وقد وردت العبارة السابقة للبياض : فكتبت إلى ممتدحاً ، فقومتها للسياق .

(٣) نوافق جمع نافقة ، وهي وعاء المسك (اللسان : ٢٣٨/١٢) .

رشفتُ بها مثلَ الثغورِ عذوبةً
 وملتُ إليها والفصاحةُ مِلؤها
 يشققُ أطرافَ الكلامِ لسانهُ
 وقورٌ فإن هزَّتْه نعمةٌ صادق
 سما بأبيه حين سمَّوه باسمه
 ميمٌ مرضاةُ الإمامِ بسيفه
 سمى الذى استسقى بعم نبيه
 ووافق فى عهد الرسالة ربّه
 من الصفوة الأبرار صيغوا وصُوروا
 إذا حقَّ أو حاق اضطهادٌ بأمةٍ
 / أمولاي إغضاءٌ فللفكر نبوةٌ
 على أنها الغاياتُ أعيًا لحاقها
 إلى العجز يلوى بعد لأيٍ عِفانهُ
 وأنى لمثل أن يُساقَ مثَلها
 ولكنى فيها على نهجِ خدمةٍ
 سلامٌ عليها ساحةٌ مولويةٌ
 تجود بوضع الدين من سعة الندى
 فأقصرتُ عن ذكر العذيبِ وبارقِ
 صحيفة ضخمِ السَّروِ ضخِمِ الشَّراقِ
 فيثني الفحولُ اللُّسنَ خرُسَ الشَّقاشِقِ
 رأيتَ قضيباً منه أثناء شاهقِ
 فليته من سامى المراتبِ سامقِ
 وموضحُ خافى الهذى فى كلِّ خافقِ
 فأخذ بردُ الودقِ حرَّ الودائقِ
 وناهيك من توفيقِ ذاك الموافقِ
 لموتِ أعادٍ أو حياةٍ أصادقِ
 تخلصها منهم حاةُ الحقائقِ
 ولا نبؤَ إلا لاعتراضِ العوائقِ^(١) [١٧١-١]

(١) الأصل : * ولا نبا إلا اعتراض العوائق *

وهو مكسور ، فقومته على هذه الصورة . والنَّبؤ مصدر من نبا (اللسان :

فراجع مشرفاً عنها بقصيدة مباركة ، منها :

أنت كثرة كالجفلى المتضايق	وقد سال منها كل شغب وشاهق
وقاض على شهب المهارق سنيها	كما فاض بعد الفجر نور المشرق
كأن بصيص الحبر فوق اسوداده	مذاب زجاج إمدى المماق
جرى فوقه دهن نخطت بما جرى	وما ذاب فى القيرطاس أقلام ماشق
ولا عيب فيه غير أن رقومه	تلوح أهوراراً فى لحاظ المهارق
وتبلغ سرّ العاشقين ولم يغب	رقيب فيشقى من تنعم عاشق
غدت كغصون الشوك شعثاً سطوره	وفى ضمنها ما ضم زهر الحدايق
وما هى إلا معجزات تظاهرت	لتعجيز ذى دعوى وتصديق صادق
أتيت بما لا يُستطاع تحدياً	وجئت ببدع للعوائد خارق
فتبنا من الدعوى ولا من معاند	وثبنا لإيمان وما من منافق

وله أعزه الله وكتب إلى به ملتزماً فيه ما لا يلزم :

[١٧١-ب] / أنفذت نظى قبل تنقيح له
 وأخو البديهة ليس يخلو قوله
 وأصح حال فيه ما رويته
 فلئن كفت عن القريض فصالح
 وأرى الإصابة كالهدي وروحها
 إن البديع لمدرك لكنه
 فتوت به أذن ملياً تعرفك
 مما يعوض عنه أو يستدرك
 ورأيت وقتاً^(١) فيه وقتاً يشرك
 ولئن تركت الكف عنه لأنزك
 طوراً تهيم به وطوراً تعرفك
 مع ذاك ما فى كل وقت يدرك

(١) الأصل : ورابت وقتاً .

وله في حلواء :

خذها إليك شقيقةً لسجيةٍ لك طالما سررت فراق فريقيها
تتحلب الأفواه عند مذاقها طيباً تحلبها لرشف رحيقها
وافتك في أفق الخوان وقد حكت للشمس عند غروبها وشروقها
تُعزى إلى عذب المجاجة مثلاً نفت البلاغة قائم بحقوقها
من كل خافقة الجناح لتجتني زهر الخماثل من أعالي نيفيها^(١)
تنمي لآل الوحي آية سنخها^(٢) فتسلم اللهوات^(٣) في تصديقها
لا غرو في بشر الطباع لو قدها فالنفس تأنس بالتماح رفيقها
وترق إذ يشدى لها بنسيمها كالنحل تلهج إذ يجاء بريقها
وله من أبيات في المجببات^(٤) :

ورب زائرة معسولة الخلق تُعزى لزهر الرثبي والوابل الغدق
جاءت وفصل الربيع الطلق يحفرها كالطيف يطرق من أغفى على قلق
مجرة اللون والفضل المبين لها على الغرالة إذ تبدو على الأفق
كأنها هي إلا أن بينهما ما بين محض النعيم المذب والحرَق

(١) النيق أرفع موضع في الجبل ، والجمع أنياق ونيوق (اللسان : ٢٤٢/١٢) .
(٢) الأصل : سنخها ، ولا يستقيم به المعنى هنا . والأصح سنخ بكسر السين ،
وهو الأصل من كل شيء ، والجمع أسناخ وسنوخ (اللسان : ٥٠٤/٤) .
(٣) الأصل : * فتسلم اللهو إلى في تصديقها * وهو وهم من الناسخ ، والصواب
ما أثبتناه . ولهوات جمع لهاة وهي اللحم المشرقة على الخلق (اللسان : ١٢٩/٢٠) .
(٤) في الأصل : المجنبات ، والصواب المجنات وهي فطائر معروفة في الأندلس ، كانت
تصنع بالجنين وقد يضاف إليها العسل أولاً يضاف .

[١-١٧٢] / كأنها وبنان القوم يغمزها^(١) بدر تشقق عنه حمرة الشفق

وهؤلاء خاتمة الشعراء من الأمراء وأبنائهم ،
على الشرط الذي لا يسوغ معنى التزامه لفظ أسمائهم^(٢) .
ولو أنست بالأندلس إيالة الإسلام لنسقت على العادة محاسن الكلام .
ولكن في هذه المائة الأخيرة ، أدرك مصراهم الروم في الجزيرة ، واستحكمت
إبارتهم لها بحكم الفتنة المبيرة ، حتى ملكوها وجزائرها بين الصلح والعنوة ،
وغاية أهلها إلى هذه الغاية أن يتساقطوا على العدو ، وكل منهم مفلت بجريعة
الذقن ومسلم لعدوه الكافر محبوب الوطن .

كم تركوا من جنات يدوسون غلالها ، وديار يجوسون خلالها ، وعيون
يفجر تغويرها العيون دماً ، وزروع ماعدا وجودها أن عاد عداً ، ثم لا انتصار
بغير العبرات ، ولا اقتصار إلا على الزفرات والحسرات ، ولم يبق الآن إلا إشبيلية ،
أم القواعد والمدائن ، ومأم الركائب والسفائن ، وقد أشفت على الذهاب ،
واستوفت [على الخراب ،]^(٣) في حسن المصابرة ، ورزوها خاتم الأرزاء ،
وأكملها الدافع في صدر العزاء ، نعوذ بالله من بأسه وتنكيله ، ونعود إلى
ما كنا بسبيله :

(١) لم يرد في الأصل من هذه الكلمة إلا آخرها : « ها » .

(٢) وردت هذه العبارة هكذا ، وهي قلقة غير واضحة المعنى ، إلا أن يكون ابن الأبار
قد تكلفها على هذا النحو طلباً للسجع . ومن الملاحظ أنه يجيد إذا أرسل نفسه على سبيلها ، وأرسل
النثر إرسالا سهلا ، فإذا تكلف السجع والتزم حلية اللفظ أغرب وناثته الإجادة .

(٣) أكملت جزءاً من العبارة التي أسقطها الناسخ بمجاراة السجعة التي وقف عندها ، ولم
أستطع إكمال الباقي .

١٦٢ - إبراهيم بن إدريس بن أبي إسحاق ابن جامع ، أبو إسحاق

وَلِيَ نَسَبَةً إِلَى أَشْغَال^(١) بِحَرْهَا فِي آخِرِ وَزَارَةِ أَخِيهِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي الْعَلَا وَأَوَّلِ الْفِتْنَةِ الْمُنْبِعِثَةِ صَدَرَ سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ^(٢) ، وَفِي ذَلِكَ الْعَامِ صُرِفَا جَمِيعًا وَقُتِلَ عَلِيٌّ مِنْهُمَا بِجَزِيرَةِ طَارِيفٍ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ سِتِّ وَعِشْرِينَ ، وَتَوَفَّى إِبْرَاهِيمُ فِيمَا أَحْسَبَ قَبْلَ ذَلِكَ ، وَكَانَ فِي بَيْتِهِ الْخُصُوصُ بِالْوِزَارَةِ مُوصُوفًا بِحَسَنِ الْإِدَارَةِ ، عَلَى أَنَّ جَمِيعَهُمْ لِأَشْغَاتِ السَّرِّ وَجَامِعٍ ، وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا لَهُ حِلْمٌ أَمُّهُ وَجُودٌ

(١) الأصل : استوال بحرها ، وقد قرأها مولر (ص ٣٣٨) : استعمال بحرها ، والصواب أشغال بحرها ، والمراد الشؤون المالية والإدارية الخاصة بأسطولها . ولفظ « الأشغال » بمعنى الشؤون المالية والإدارية كثير الاستعمال في العصر الموحدى (انظر مثلاً ابن خلدون ، ج ٦ ص ٢٥٠) ، ويقال أيضاً « الأشغال الخزنية » في نفس المعنى (انظر دوزى : ملحق القواميس ٧٦٧/١) حيث ترد أمثلة لمصطلحات مثل : الأشغال المالية ، الأشغال الخراجية ، « استعمل فلاناً على الأشغال بمدينة سلا » و « أشغال العدوتين » . . الخ .

(٢) الإشارة هنا إلى الفتنة التي أصابت البيت الموحدى عقب موت خامس خلفائهم أبي يعقوب يوسف بن محمد الناصر المعروف بالمستنصر سنة ٦١١ - ٦٢٠/١٢١٤ - ١٢٢٣ وقيام نفر من أبناء أبي يعقوب يوسف المنصور على عمهم أبي محمد عبد الواحد - الذي بويع بعد المستنصر - يتزعمهم أبو محمد عبد الله بن المنصور - وكان والياً على مرسية - وانضم إليه إخوته وفنادى بنفسه وتلقب بالعدل ، وكان الساعى في هذه الفتنة أبو زيد عبد الرحمن بن موسى بن يوجان ابن يحيى الهنتاى منافس بنى جامع « الذين اتخذوا الوزارة وراثته » كما قال . وكان بنو يوجان منافسين لبني حفص ، والبيتان ابنا عم ، فهما جميعاً من هنتاة . قال ابن عبد المنعم الحميرى : « وجعل الله ما بين هذين البيتين ما جعل بين بنى هاشم وبنى أمية » . وتلك الفتنة هى التى قصمت ظهر دولة بنى عبد المؤمن وآذنت بزوالها .

انظر : الروض المعطار ، مادة جنجالة ، رقم ٧٠ ص ٦٧ وما بعدها .

سامعٌ ، أبقت على بقاياهم الدولة الحفصية ، فأصبحت^(١) أيامهم العvisية ،
وأكثبت^(٢) آمالهم القصية ، وهام قد نهضوا بالأعباء ، وانفردوا بالحباة في
[١٧٢-ب] الأحناء ، حتى جرى الأبناء / مجرى الآباء .

ولأبي إسحاق هذا امتياز بفضل أدبٍ واعتلاقٍ منه بسببٍ ، وهو القائل
يخاطب أبا بكر بن يزيد بن محمد بن صقلاب عامل العريّة :

يانازحاً حبه وكيـدُ ومَن تُراعَى له العهدُ
حللت منى محل نفسى فأنت دان منى بعيدُ
إن قال إلفٌ : قد ملّ إلفى وودّه ناقصٌ يبيدُ
قلتُ له زارياً عليه : « يزيدُ » فى حبه يزيدُ

فكتب إليه مع نثرٍ بأبيات منها :

قدك اتّيب^(٣) أيها الحسودُ دارت على راحتي السعودُ
واهتز عطفُ الزمان لينا وكم عسا للزمان عودُ
أجنى يدي بعد ما تجنّى زهر الأمانى كما أريدُ
فمسرّحى مُمرّعٌ جَمِيمٌ ومشرعى سلسلٌ برودُ
وكل ليل على صبحٍ وكل يوم لدى عيدُ

(١) الأصل : فأصبحت . وأصبحت أى ذُلت .

(٢) أى قرّبت .

(٣) الأصل : اتب . واتّيب أى رويدك .

١٦٣ - سليمان بن الحاج عبد الله

ابن ويفتن ، أبو الربيع

عامل إفريقية ، وكان قبل ذلك والياً على قابس وغيرها ، واستُنيب على
حضرة تونس أيدها الله ؛ ومن شعره يخاطب بعض الملوك ، وقد قصده فحجبه ،
وأنشدني ذلك له من سمعه منه :

يا أيها الملك الذي ضنَّت^(١) به حُجْبُ الجلالة
جُد لي بإحدى الحُسْنَيْنِ من الرسول أو الرسالة

١٦٤ - عبد الله بن محمد بن وزير ، أبو محمد

قد تقدم ذكر أبيه أبي بكر في آخر المائة السادسة ، وأنه كان والياً على
قصر الفتح^(٢) وما إليه / من الثغر الغربي . وبعد وفاته ولى عبد الله ذلك ، وكان [١٧٣ - ١]
أكبر بنيه ، والوارث - دون إخوته - أدبه ورُتبه .

ولم تطل ولايته ، ولا كادت تتبين كفايته ، حتى نازله الإفريج وتغلبوا
عليه في جمادى الأولى سنة أربع عشرة وستمائة ، بعد وقعة هنالك فقد فيها آلاف
من المسلمين ، بتخاذل رؤسائهم يوم التقى الجمعان ؛ وهي إحدى الكوائن المنذرة
حينئذ بما آل إليه أمر الأندلس الآن . وأسر عبد الله هذا ومن كان معه ،
ثم تخلص من تلك الحال بحيلة توجهت له^(٣) .

(١) الأصل : ظننت .

(٢) المراد هنا قصر أبي دانس ، وقد سبق التعريف به .

(٣) سبق أن فصلنا ذلك في تعليقنا على قصر أبي دانس .

واستعمل بعد وفادته على مرّاكش إثر خلاصه ، وقبضت عليه العامة
بإشبيلية بلده بتحريك محمد بن يوسف بن هود - الملقب بالمتوكل - إياها عليه
وعلى أهل بيته ، وسيق إليه فقتله وأخاه أبا عمرو عبد الرحمن ، منصرفه من
الوقية العظمى عليه بماردة من الثغر الجوّفي في سنة سبع وعشرين وستمائة^(١) .
وهو القاتل في عثمان بن نصر أمير قومه الرّياحيين عند الصّبح عنه بعد
القبض عليه :

(١) أورد ابن عذاري في البيان المغرب (ج ٤ / ٢٦٦) وما بعدها أخبار محمد بن يوسف
الجزائري وقيامه على الموحدين بشرق الأندلس ، ولكنه لم يبين صلة نسبه ببني هود أصحاب
سرقطة وإنما اكتفى بقوله : « كان هذا محمد بن يوسف رجلاً من أصناف الجند بمرسية وغيرها ،
لكنه كان لأسلافه القدماء تقدم ملك في تلك البلاد الشرقية الأندلسية ، تقلدوا حكمها قديماً وأمرها » .
وقد تحدث عن محمد بن يوسف بن هود هذا جسيار ريميرو في كتابه عن مرسية الإسلامية :

MARIANO GASPAR REMIRO, *Historia de Murcia Musulmana*
(Zaragoza, 1905) 267 sqq.

ولكنه لم يبين هذه الصلة . وذكر ابن الخطيب في الإحاطة (طبعة القاهرة سنة ١٣١٧ ، ج ٢
ص ٩٠) أنه كان من سلائل المستعين بن هود .

و « الوقية العظمى » التي جرت عليه بماردة ذكرها ابن عذاري في البيان (٢٨٩ / ٤)
وابن الخطيب في الإحاطة (٩٢ / ٢) وفصل أمرها أويثي ميراندا في كتابه الذي ذكرناه مراراً
في تاريخ الموحدين (٤٧٨ / ٢) ، وخلاصة كلامهم أن محمد بن يوسف بن هود هذا كان عظيم
الشجاعة لا يتردد في مهاجمة أعدائه حتى وصف بالتسرّع . وعندما تقدم فرناندو الثالث وحاصر
ماردة منتزاً فرصة انسحاب الخليفة المأمون الموحدي من الأندلس ، أسرع ابن هود لإنجائها ،
والتقى به عند موضع تسميه النصوص الإسبانية الحَنْش Alange في جمادى الأولى ٦٢٧ / مارس
١٢٣٠ ، قال ابن الخطيب : « فلم يثأرَ - زعموا - حتى دفع بنفسه العدوَّ ودخل في مضاربه ،
ثم لما كَرَّ إلى ساقته وجد الناس منهزمين لما غاب عنهم ، فاستولت عليه هزيمة شنيعة ، واستولى
العدو على ماردة بعد ذلك » . وسقطت أيضاً في إثر تلك الهزيمة بطليوس . والحَنْش بتسكين
النون هو النطق الدارج للفظ الحَنْش . وما هو جدير بالملاحظة أن هذا الموضع يسمى في
النصوص اللاتينية Castrum Colubri أي حصن الحنّس .

قالوا : عفا الأمير^(١) عن عثمان ، قلت لهم :
 سيوسع الملكُ الإحسانَ والصفداً
 ما كان أولاه من عفوٍ وأوقعةٍ لو أن ذلك في اليوم الذي وردا
 لكنهم لحظوا لحظَ الرءوف ، أما يؤدب الوالدُ المستصلحُ الولدا ؟
 كالبحر لا تقذف المرجانَ لجُتتهُ إلا إذا قذفت أمواجه الزبداً
 وحُدثتُ أن أباه أبا بكر مرَّ في بعض أسفاره بوادي الحمام — وهو ما بين
 أرْكش وبين مدينة ابن السليم^(٢) — فسمع غناء حمامة فقال :

أحمامةٌ ناحت على وادي الحمام خَلَّى ادَّعاءَ جَوَى المَشوقِ المُستهامِ
 أين الدموعُ وأين بُسُّ الحزنِ أم أين التلذُّذ بين أثناء الخيام ؟
 أحللتِ أنصرَ أَيْكةٍ تهفو على وادٍ تصفِّقُ إذ خلوتِ من الغرام ؟
 وصدحتِ بالكف الخضيبِ كموقع بينانه يتلو بها نغم الكلام
 / وزعتِ أنكِ هامةً لليوم أو غده ، وشأنك يا حمام سوى الحمام [١٧٣-ب]
 أنا ذاك لى جسم عفا بالشقم وفي لعلوة غير منموم الذمام
 ما كنتُ أعلمُ قبله أنَّ الجوى يبرى الجسومَ كمثلي ما يبرى الحسام

(١) الأصل : عفى الأمر .

(٢) أرْكش هي التي تعرف اليوم باسم Arcos de la Frontera وهي مركز إداري في مديرية قادس على نحو ٥٠ كيلومتراً شمال شرق قادس Cádiz . أما مدينة ابن السليم فهي مدينة شِدُونَة Medina Sidonia قال في شأنها عبد المنعم الحميري : « التي تعرف في عصرنا بمدينة ابن السليم ، وبنو السليم قد انصرفوا إليها عند خراب مدينة قلشانة » Calsena . ومدينة شِدُونَة مركز إداري حالياً في مديرية قادس أيضاً على نحو ٤٠ كيلومتراً إلى شرقها . ولا بد أن وادي الحمام نهر صغير من نهيرات وادي لك Guadalete أو نهر البرباط R. Barbate ، ولم أجد اسمه في الخرائط المفصلة أو معاجم جغرافية شبه الجزيرة ، وليس من الضروري أن يكون مجرى ماء .

ثم إن عبد الله ابنه هذا مرَّ به بعد حين فتذكر قول أبيه فيه ، فقال :
أحمامة الوادى أخفت من الحمام كذب الحمام ، فأين دعوى مظهر
فشكوت ما تلقين^(١) شكوى المستهام ؟ أشجانه من ذى خفاء واكتقام ؟
شهدت دموعى والجوى ، ولو اننى بل قد عذرتك يا حمام فلم تُطق
عونا يُبين عن الذى بك من أوام قللت طوقاً ما له عنك انصام
أو ما ترى الكحلأ طبعاً تشكى ردى الهديل فإننى أشجى به
يا ليتنى لم أدر يوماً ما الغرام ووجدت منسوباً إليه :

بدا مُحيمًا جابر والليل ملقٍ أزره
والبدر قد قابله والمشتري والزهره
فقلت : ذا أضوا من تلك الثلاث الميرة
فقال صحبى كلهم : إى والذى قد صوره ا

وهذه الأبيات قد أشدنيها أبو بكر محمد بن الحاج أبى عامر محمد بن حسن
ابن محمد بن عبد الرحمن الفهرى ببُلَنْسِيَّة ، بعد سنة عشر وستائة لشيخنا أبى
الحسن بن حريق^(٢) ، وحدثنى أنه سمعها منه عند ارتجاله إياها فى شبيرة أبى

(١) الأصل : تلقون .

(٢) الشاعر المشهور أبو الحسن على بن محمد بن أحمد بن حريق الخزومى البغددي ،
« شاعرها الفحل المستبحر فى الآداب واللغات ، روى عن عبد الله بن حميد ، وكان عالماً بفنون
الآداب ، حافظاً لأيام العرب وأشعارها ، شاعراً مفلحاً ذا بديهة . اعترف له بالسبق بلغاء وقته ،
ودون شعره فى مجلدتين . . ولد سنة ٥٥١ هـ وتوفى فى ١٨ شعبان سنة ٦٢٢ هـ » .

ابن الأبار ، التكملة ، رقم ١٨٩٥ ص ٦٧٩ .

الحسن ، قال : وكان يميل إلى وسيم يعرف بجعفر الخضرى^(١) ، / فقدم وأنا معه في [١٧٤-١] إحدى الليالي المقمرة بين العشاءين ، ومعنا طائفة من أترابنا ترتقب وصول جعفر هذا ، فلما أطل قال ذلك ، وأول الأبيات :

* بدا مُحيا جعفر *

إلى آخرها ، إلا أنه قال : « فقلت ذا أجل » مكان « أضوا » ، وهى بابن حريق أولى ، مع أنى لم أجدها فى ديوان شعره إذ قرأته عليه ، ولا أدرى كيف نسبت إلى ابن وزير .

١٦٥ - إبراهيم بن محمد بن صنانيد^(٢)

الأنصارى ، أبو إسحاق

كان أبوه والياً على جَيَّان ، وقد وليها هو بآخرة ، وتصرف قبل ذلك بشعر بطليوس ، وهناك صاحبه ، ومنه خاطبني وخاطبته . وأصل أوليائه من شُقُورَة^(٣) .

(١) جعلها دوزى ، ص ٢٤٣ : الحمزى .

(٢) ورد اسم هذا البيت عند ابن عبد المنعم الحميرى : بنو صناديد فى جيان (ص ١١٨)

(٣) شقورة : لم يرد لها ذكر فى مدائن كورة تدمير (مرسية) عند الرازى ، وليست

كذلك من مدن الكورة السبع التى عاهد عليها تدمير ، ولم يذكرها العذرى فى كلامه المطول عن

كورة تدمير ، ولكن ذكرها الإدريسي (ص ١٩٥ - ١٩٦) وأبو الفدا (تقويم البلدان ،

ص ٤٢ - ٤٣) وياقوت (٢٨٣/٥) وعبد الواحد المراكشى (المعجب ، ص ٢١١) وابن عبد المنعم

الحميرى (الروض ، ص ١٠٥) . ويرجع ذلك إلى أن ذكرها لم يشتهر إلا فى القرنين السادس

والسابع عندما تركزت الأهمية فى الحصون ذات المواقع الحصينة . واسم شقورة كان يطلق على =

وكانت لأبيه نكيات في العداة ، وعنايات بالعُفاة^(١) ، حتى لدونت أمداحه ، وشهر بأسه وسماحه .

وأما ابنه هذا فغلب الأدب عليه ، وانتسب السُّرُو إليه . وإلا يَكُنْ معه بأس أبيه ومضاؤه ، فمعه معروفه المعروف وسخاؤه .

حدثني شيخنا أبو الحسن بن حريق أنه — أيام اشتغاله بجهة جَيَّان ، وتردده عليها في صدر هذه المائة — لقي أبا إسحاق هذا ، فأفهمه بمقتضى سُرُوهِ الحرص على مدحه ، ثم بعث قريحته على ذلك بجزيلٍ من مَنَحِهِ ، فقال فيه قصيدته الفريدة التي أولها — وأنشدني جميعها :

أعزى من المدح الطُّرفَ الذي رَكبا لما جرى في ميادين الصِّبا فكَبا
تمرُّ وثبًا به خيلُ الشبابِ فلا يسطيعُ من مربطِ الحسين أن يثبا
وربما شقَّ أسدافَ الظلام به ركضًا وشقَّ به الأستارَ والحُجُبا
يقول فيها :

يلقى الغواني بإنكارٍ معارفه وهنَّ أقرب خلق منه منتسبا
إن كُنَّ سَمِينَه عصرَ الشبابِ أخا لهنَّ فاليومَ أخرى أن يكون أبا
رعينه خضرًا رطبًا فحين عسا أتَيْنَ يرعينَ ذاك الإلَّ والنَّسبا

= نهر مرسية الذي يسمى أيضاً بالنهر الأبيض ويسمى اليوم نهر Segura ، وعلى حصن شقورة . وظهرت أهمية الحصن عندما تحصن فيه عبد الرحمن بن رشيق وتمكن من التغلب على ابن عمار وإخراجه من مرسية ، ثم عندما اتخذه إبراهيم بن هــمـشـشـلـك معقلاً ومركزاً له . انظر بالإضافة إلى المراجع المذكورة :

GASPAR REMIRO, *Historia de Murcia Musulmana* , p. 188.

وتسمى اليوم Segura de la Sieira وهي مركز إداري في مديرية مرسية .

(١) العفاة هم السائلون المستوفدون ،

[١٧٤-ب]

/ وفي مدحها :

لا بد أن ينصر الآدابَ مشترطٌ للمجد أن ينصر العلياءَ والحسبا
 نذبُ لآلِ صنانيدٍ به رُتبُ فانت برفعِتها الأقدارَ والرتبا
 تقدمتُ بهم من فضله قدمُ داسوا بإخمصِها الأقدارَ والشهبا
 نالوا بسعي أبي إسحاق ما طلبوا ونال عفواً أبو إسحاق ما طلبا
 يا ضاحكاً للمنى من مبسمٍ لُقِطَتْ من لفظه الدرُّ واشتارت به الضربا
 ومفصحا بـ « نعم » في كل مسألة إلا لمن لأمه في الجود أو عتبا
 كنْ لي كما أنت في نفسي فقد عقدتُ بيني وبينك أسبابُ العلا قُرْبا
 وذاك أنك تُهدى البرَّ منتخبا نحوى ، وأهدى إليك الحمدَ منتخبا

ومنها :

وسامع بك في أقصى منازله أفاد من رفدك الأموال والشبا
 رجاك فامتلات أرجاؤه بَدْرًا ولم يشدَّ لها رَحْلا ولا قَتْبًا
 سوى قصائدَ والها منقحةً أدت إلى راحتيه ثروةً عجبا
 صاغت له كيمياء الجود إذ وردتُ منها نُصاراً وكانت قباهما كُتْبا
 فأشبهت حالَ بنت الكرم إذ خلصتُ في الدنَّ خمرأً وكانت قبله عِنبا

ومن شعر أبي إسحاق يعتذر إلى بعض الرؤساء من ترك زيارته لنقرس
 كان يلازمه :

كم رام كاتبها زيارة مجدكم ففُتق عن آماله آلامه

يا ماجداً عذراً إليك فإنه لا تستقلُّ بحمـله أقدامه
وكتب إلى مجاوباً في سنة سبع عشرة وسبعمائة :

أنتنى فقلت لها : مرحباً تحيةً صدقٍ تحلُّ الحُبَّ
يسير بها العهد مستحفظاً ويسرى النسيمُ بها طيباً
[١-١٧٥] / يهبُ الوفاء بها بارقاً فيلثمُنِي ثغره أشنباً
تأرجح لما سرى موهناً يؤدي أماناتِ زهرِ الرُّبى
وقد نضح الطلُّ أعطافه فأنساك حسناً عهدَ الصِّبا
تحمّل عن ذى الهوى لوعةً يضيق عليها النوى مذهباً
وزار فأدنى بعيده النوى وبعّد بالشوق ما قرّباً
وأهدى من الود عرفاً بليلاً عليلاً يصيحُ به من صبا
وذكرنى بالشرى مُخلصاً أسامر وجداً به الكوكبا
وما كنت عنه لبعده المزار ذهولاً فأطلبُ مستعقباً
وكيف التناسى لمن قد غدا طرازاً بكمّ العلا مذهباً ؟
وقرطاً على مسمى ذكره ومعنى على القلب مستعذباً
فبلغه عنى سلاماً جزيلاً يسير مع القلب مستصحباً
ولو كنتُ فى ودّه منصفاً لما ناب عنى نسيمُ الصِّبا

١٦٦ - يحيى بن أحمد بن عيسى الخزرجى ، أبو الحسين

منتماه إلى قيس بن سعد بن عبادة صريح ، وحديث نذاه عند رواية علام حسن صحيح . وولد بدانية دار آبائه وبها نشأ ، ثم أوطن شاطبة وأصهر بها إلى شيخنا أبي عمر بن عاتٍ . ومال إلى خدمة السلطان ، فما زال يرتقى في معالي الأمور درجة بعد أخرى ، حتى ساد أهلها ووليها من قبل محمد بن يوسف بن هُود - الملقب بالمتوكل - إلى أن توفى في آخر شعبان سنة أربع وثلاثين وستمائة ؛ ووليها بعده أبناؤه والرئاسة منهم لأبى بكر محمد .

وصارت إليه دانية مدة يسيرة ، إلى أن تغلب الروم عليها مستهل ذي الحجة سنة إحدى وأربعين . ثم تملك الروم أيضاً شاطبة ، في آخر صفر / من سنة أربع [١٧٥-ب] وأربعين ، بعد مهادنة ومدارة لطاغيتهم البرشلونى ، من حين تغلبه على بَلَنْسِيَّة في صفر أيضاً ، وفي يوم الثلاثاء السابع عشر منه سنة ست وثلاثين ، وكانوا قد شارطوا على سكانها بإتاوة معلومة .

وفي وقتنا هذا وصل بعض الشاطبيين يخبر أنه أجلام عنها مع أهل جهاتها — وهم ألوف من المسلمين — فتفرقوا في البلاد ، وأوى أبو بكر هذا في خاصته إلى حصن بمقربة منها ، وذلك في رمضان من سنة خمس وأربعين^(١) .

(١) كانت الناحية الشرقية أضعف نواحي الثغر بعد سقوط سرقسطة سنة ٥١٢ / ١١١٨ في يد ألفونسو الأول ملك أرغون الملقب بالمحارب ، فسقطت عقب ذلك بعض حصون كورة طرطوشة وأصبح الحد الأعلى بلنسية ، وذلك بفضل استرداد المرابطين إياها ودفاعهم المجيد عنها . وبعد قيام أبي عبد الله محمد بن أبي يعقوب المنصور على عمه عبد الواحد الملقب بالخلوع بدأ التصدع النهائى في هذه الناحية ، وقد تماسكت بعض الشىء بفضل قيام محمد بن يوسف بن هود في مرسية ، ولكن

= الحرب بينه وبين المأمون الموحدى قضت على كل أمل فى الاحتفاظ بما بقى من شرق الأندلس ، وخاصة بعد وقعة طريف بينهما فى ٦ رمضان ٦٢٦/ ٣١ يوليو ١٢٢٩ وهى الموقعة التى مات فيها إبراهيم بن إدريس بن أبي إسماعيل بن جامع الذى ترجم له ابن الأبار فيما سبق ، وكانت هذه آخر معركة كبيرة للموحدين فى شبه الجزيرة ، فقد غادرها المأمون بعدها إلى المغرب تاركاً أمرها لولاية نواحيها . وكان يحكم بلنسية من أواسط سنة ٦٢٠/ أواسط ١٢٢٤ أمير موحدى هو أبو زيد عبد الرحمن بن أبي عبد الله محمد بن أبي حفص بن عبد المؤمن . وكان فرناندو الثالث ملك قشتالة إذ ذاك يعتبر بلنسية جزءاً من كورة طليطلة ومن ثم فهمى من حق ملكة قشتالة ، ولهذا فقد تصدى للهجوم عليها . وأحس أبو زيد عبد الرحمن بضعفه أمام ملك قشتالة ، فدخل فى طاعته على أن يحتفظ بالناحية فى مقابل جزية سنوية يؤديها ، ثم دخل فى طاعته أيضاً أبو محمد عبد الله المعروف بالبياسى ، وهو ابن محمد بن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن بن على . وكان الخلاف شديداً بين عبد الله البياسى هذا وعبد الله بن المنصور الملقب بالعدل الذى نادى بنفسه خليفة ، فأرسل إليه أخاه أبا العلا إدريس بن المنصور ليستولى منه على بياسة فلم يستطع ، فأرسل نحوه جيشاً آخر يقوده أبو سعيد عثمان بن أبي حفص ، فاستعان البياسى بالقشتاليين وهزمه ، ومد سلطانه على قرطبة ومالقة وغيرها ، واستقر فى قرطبة وترك بياسة فأنهى أمرها بالسقوط فى أيدي القشتاليين .

وفى نفس الوقت كان خايمة الأول ملك أرغون يطمع فى بلنسية ويعتبرها منطقة امتداد لملكته ، وحصل من البابا هونوريوس الثالث على اعتراف بحقه فى ذلك ، وكان خايمة إذ ذاك شاباً فى السابعة عشرة من عمره ، ولكنه كان شديد الحماس لحرب المسلمين ، يحاربهم بروح صليبية ، وكانت عاصمته سرقسطة ، وهو الذى استولى على كورة طرطوشة بما فيها من مدن سنة ٦٢٢/ ١٢٢٥ . ثم تقدم خايمة يحاصر بلنسية ، ومع أنه لم يسرمعه إلى هذا الحصار من فرسان مملكته إلا القليل ، إلا أن أبا زيد عبد الرحمن خاف منه واتفق معه على أن يقدم له خمس خراج بلنسية ومرسية جزية سنوية ، وقد كان أبوزيد هذا يستطيع الثبات لملك أرغون لأن الكثير من رجال دولته كانوا منتقمين عليه ، ولكن أبازيد تخاذل واستسلم . وكان هذا من أكبر أسباب قيام محمد بن يوسف ابن هود عليه فى مرسية (آخر رجب ٦٢٥/ ٥ يوليو ١٢٢٨) . وقد رأينا كيف تمكن ابن هود من الاستيلاء على دانية وشاطبة وإشبيلية وحاول الاستيلاء على غرناطة ففشل . وثار على أبي زيد عبد الرحمن فى بلنسية حفيد لمحمد بن سعد بن مردنيش يسمى أبا مجمل زيان بن مدافع الجذامى (سترجم له ابن الأبار) وطرده منها ، فلجأ إلى خايمة ملك أرغون مستعيناً به (سنة ٦٢٧/ ١٢٢٩ - ١٢٣٠) ، وهكذا أصبح شرق الأندلس موضع نزاع بين أبي زيد عبد الرحمن حفيد عبد المؤمن بن على وأبي مجمل زيان حفيد محمد بن سعد بن مردنيش ومحمد بن يوسف بن هود حفيد بنى هود ، وعبد الله البياسى مقيم فى قرطبة فى حاية فرناندو الثالث . ولما كان أبوزيد =

= عبد الرحمن قد وضع نفسه في حماية ملك قشتالة فرناندو الثالث دون أن يجد منه حماية حقيقية ، فقد أسرع ومعه كاتبه أبو عبد الله بن الأبار القضاعي (مؤلف هذا الكتاب) ولقيا خايمة الأول ملك أرغون في قلعة أيوب في ٣ جمادى الثانية ٦٢٧/٢٠ أبريل ١٢٢٩ وانفق معه على أن يعينه على استعادة بلنسية ومرسية بشرط أن يعطيه أبوزيد ربع غلات كل ما يستولى عليه ، وضماناً لذلك نزل له عن بلاد **بنشكولة** **Peniscola** ومُرَّ لَه **Morella** وكولة **Culla** والبُؤنوت **Alpuente** وشارقه **Jerica** وشُبرُوب **Segorbe** ، وسلمه خايمة بصفة رهن وضمان قلعتي الديموس **Ademuz** وقلعة حبيب **Castielfabib** ، ثم أبحر خايمة الأول للاستيلاء على جزر البليار معتمداً على ذلك الاتفاق المؤقت الذي عقده مع أبي زيد . وفي تلك الأثناء اجتهد أبو جُحيل زيان في الإغارة على أراضي أرغون وقشتالة من قاعدته بلنسية ، في حين ظلت دانية وشاطبة في طاعة محمد بن يوسف بن هود ، فولى على الأولى أبا الحسين يحيى بن أحمد بن أبي الحسين عيسى الخزرجي (الذي يترجم له ابن الأبار هنا) ، وعلى الثانية أباه أحمد بن عيسى . وضعف أمر أبي زيد عبد الرحمن جداً ، فازداد خنوعاً لخايمة الأول وذهب للقائه في تيروال في ١٥ ربيع الثاني ٦٣٠/٣٠ يناير ١٢٣٢ ، وتنازل له عما كان قد اشترط عليه في اتفائه معه في قلعة أيوب في ٢٠ أبريل ١٢٢٩ ، وأصبح بهذا في عداد صغار أتباعه . وزاد الأمر سوءاً ظهور محمد ابن نصر بن الأحمر ونزاعه مع ابن هود وانزاعه من يده قرمونة وقرطبة وإشبيلية . ثم استولى أبو جُحيل زيان على دانية ، وأخرج منها أبا الحسين يحيى بن أحمد بن عيسى ، فلجأ إلى أبيه في شاطبة وظل معه حتى استردها وحكمها باسم محمد بن يوسف بن هود بعد قليل . وفي هذه الأثناء تخلى ابن الأبار عن خدمة أبي زيد عبد الرحمن ودخل في خدمة أبي جُحيل زيان بن مردنيش وعمل كاتباً له ، فندبه للذهاب إلى تونس للاستغاثة بأميرها أبي زكريا الحفصي ، ثم عاد إلى بلنسية وظل فيها إلى سقوطها .

في هذه الظروف ، ووسط ذلك الخلاف المتصل بين قادة المسلمين في الأندلس عقب تلاشي سلطان الموحدين فيه نهائياً تشجع خايمة الأول ملك أرغون للاستيلاء على بلنسية وما بقي للمسلمين في شرق الأندلس ، وشجعه على ذلك رئيس طائفة الاسبتارية في مملكته **Hugo Folcalquer** ونفر من فرسانه ، وكان أبو زيد عبد الرحمن قد دخل في طاعته مناوئاً لخصمه أبي جُحيل زيان بن مردنيش ، فتقدم في سنة ٦٢٩/١٢٣٢ واستولى على أرش **Ares** ومُرَّ لَه **Morella** ، وفي السنة التالية استولى على بُريانة **Burriana** بعد حصار عنيف ، ثم استسلمت بنشكولة **Peniscola** ثم قسطليون **Castellon** ومُربول **Borriol** وحصون أخرى . وبسط غاراته على نواحي شُقر حتى البلاط **Albalate** . وفي سنة ٦٣٢/١٢٣٤ استولى على المعصرة **Almazora** ، وفي سنة ٦٣٣/١٢٣٥ حاصر قليرة **Cullera** ، ثم استولى على حصن منكادة **Montcada** وموسيرُس **Museros** . ثم بدأ في حصار بلنسية في نفس السنة بمعاونة فرسان من قطلونية = (م ٢٠ - ج ٢)

ولأبي الحسين فضائل مذكورة ، ومآثر ماثورة ، ورزق قبولاً ، ما زال به مأمولاً ، من رجل يجرى على أعراقه ، فيدع الضئانة بأعلاقه ، ويسع الناس بأمواله كما يسعهم بحسن أخلاقه ، يلقى الوفود مرحباً ، ويلقى — كما عود — الجود الذي تقيل فيه الجدود منسحبا :

وكما لقيَ الدينارُ صاحبهُ في ملكٍ افترقا من قبل يصطحبا

وأول ظهوره في الفتنة المذبذبة في أول سنة إحدى وعشرين . وكانت بضاعته الأدب ، مع مشاركته في غيره ، ويغلب عليه تحبير النثر أكثر من تجويد الشعر . وهو القائل معتذراً إلى بعض الأمراء :

= وأرغون ومن جنوب فرنسا يرأسهم أسقف أربونة ، وكذلك استترك في الحصار فرسان من نبرة . وقشتالة . وفي أثناء الحصار وصل أسطول من تونس بعثه أبو زكريا الحفصي ، فلم يستطع رجاله النزول إلى البر ، واتجهوا نحو بنشكلة فلم يستطيعوا الاستيلاء عليها وعادوا أدراجهم . وأخيراً ، وبعد حصار طويل استسلمت بلنسية في ١٧ صفر ٦٣٦ / ٣٠ سبتمبر ١٢٣٨ بعد أن اتفق مع واليها أبي جميل زيان على أن يخرج بأهله وولده ومن يريد الخروج من المسلمين إلى دانية ، فخرج نحو ٥٠ ألف مسلم . وقد ارتفع صيت خايمة الأول بهذا النصر وتسمى بالفاتح El Conquistador وأصبح من كبار ملوك إسبانيا . وفي سنة ٦٣٨ / ١٢٤٠ تقدم خايمة يحاصر دانية التي لجأ إليها أبو جميل زيان ، فعرض هذا أن يتنازل له عن لقمـنـت في مقابل إعطائه جزيرة ميورقة ، فرفض خايمة . ثم استولى على شقر سنة ٦٤٣ / ١٢٤٥ وفي صفر ٦٤٦ / مايو ١٢٤٨ سقطت شاطبة ، وكانت هذه هي آخر ما استولى عليه ملك أرغون ، لأنه بموجب اتفاق تم بينه وبين ملك قشتالة وقع في الميرسي Almirza اعتبر بقية شرق الأندلس داخل في منطقة نفوذ ملك قشتالة ، وعليهم استرجاعه من المسلمين ، وكان الحد الفاصل بين ما يتبع أرغون وما يتبع قشتالة المنطقة الواقعة بين نهر شقر Jucar وشقورة Segura انظر بالإضافة إلى المراجع السابق ذكرها :

إن قصَّرت^(١) في خدمةٍ محسوسةٍ فيما مضى من دهرى المتقدمِ
فلنيتى مكنونُ خدمتها التى عقلتُ ، وإن حُجبتُ لمن لم يفهمِ
ولدى عذرٍ فى التخلفِ أولاً ولكم حلومٌ فوق جُرمِ المجرمِ
وإذا محاً ما قد تقدَّم عفوكم فولاءِ رِقِّ ثابتٍ للمنعمِ
ولقيتُ عند لقائكم ما أمات نفسى ، ولكن كيف لى بمُسَلَّمٍ ؟
وضراعتى فى أن يكون قبولكم فوق بمنزلة الرداء المُعلِّمِ

وله يخاطب أبا عبد الله بن عيَّاش الكاتب من قصيدة :

/ مالى يدٌ بجزاء ما أسديتهُ والكفُّ تقصُّرُ عن محلِّ الكوكبِ [١-١٧٦]
إنى وقفتُ على جنابك همتى وجعلتُ ربَّك كعبتي ومُحصَّي^(٢)
ولئن سألتَ عن الذى أنا طالبُ مالى سوى نيل العلا من مطلبِ
وله :

عزاء أبا عامرٍ إنه وإن كان رزؤك رزءاً جليلاً
فإن الرسول قضى ، فاجعانُ عزاءك عمن يموت الرسولاً
وقدُرُ التصبُّرِ قدرُ الثوابِ فصبراً تُوفِّ الثناء الجميلاً
وأنشدنى له ابنُ أخيه أبو الحسين عزيز بن أبى عمرو^(٣) سعد بن أحمد
فى وسيم أسمر أزرق أرمَد :

(١) فى الأصل : إن قصَّرتُ ، ولا يستقيم به الوزن ، وقد قومتها على هذه الصورة على

اعتبار أن المراد : إن قصرت نفسى .

(٢) المحصَّب موضع رعى الجمار بمنى .

(٣) الأصل : عُمر وسعد ، وهم الناسخ فوضع ضمة على العين ، وأوهامه من هذا النوع

كثيرة جداً .

عابوه أسمر ، ناحلا ، ذا زُرْقَةٍ رَمِداً ، وظنوا أن ذاك يشينه
جَهِلوا بأن السَّمْهَرِيَّ شبيهه وخِضابُه بدم القلوب يزينه

١٦٧ — عزيز بن عبد الملك بن محمد

ابن خطاب ، أبو بكر

كان له — مع شرف البيت ونباهة السلف — تقدم معلوم في العلوم ، وتميز
بالمشاركة في المذنبور والمذنوم . وولى مُرْسِيَّةَ بلدَه من قبل ابن هود المتوكل — وهو
الثائر بموضع منه يعرف بالصخور^(١) — في آخر رجب سنة خمس وعشرين
وستمئة . ودخل مُرْسِيَّةَ بمواطاة قاضيها حينئذ أبي الحسن علي بن محمد
القَسْطَلِيّ — قتيله بعد — وقبض على واليها ، وذلك في أول يوم من شهر
رمضان من السنة المذكورة ، ومنها ملك بلاد الأندلس بأسرها إلا بَلَنَسِيَّةَ ، إلى
أن هلك بقصبة المَرِيَّة ليلة الخميس السابع والعشرين من جمادى الأولى سنة خمس

(١) « الصخور » ويكتبها ابن الخطيب في أعمال الأعلام « الصخيرات » و« الصخرة »
(صفحات ٢٦٠ و ٢٦٢ و ٢٧٨ و ٢٧٩) . ويبدو أن هناك أكثر من موضع بهذا الاسم في نفس
الناحية من مرسية ، لأن ابن الخطيب يقول في سياق كلامه عن يوسف بن هلال صهر ابن مردنيش
(ص ٢٦٢) : « وتملك الصخرة والصخرة » . وقد اختصها ابن عبد المنعم الحميري بمادة طويلة
تدور على ظهور محمد بن يوسف بن هود ، وهي من أوسع ما لدينا عن أصله وأوليائه (رقم ١٠٩
ص ١١٨) . وقد حقق جسيهار ريمير وهذا الموضع في كتابه *Hist. de Murcia Musulmana*
(٢٦٩ - ٢٧٠) فقال إنه معقل — لا زالت أطلاله باقية — يطل على الحصن الذي يعرف اليوم
باسم Ricote (رقوطة) وهو يشرف على الضفة الشرقية لنهر شقورة من ارتفاع ٢٩٣ متراً ،
ويقع على نحو ٣٠ كيلومتراً شمال غرب مرسية .

وانظر الترجمة الفرنسية للروض المعطار ، ص ١٤٤ ، هامش ١ .

وثلاثين . وكان أمره عجبا ، لولا أنه أورث عطبا ، وأعقب شجبا^(١) . وفي ولاية
أبي بكر هذه ، قدم عليه أبو بكر محمد بن أحمد بن الصابوني الإشبيلي^(٢) شاعر
وقته - وذلك سنة اثنتين وثلاثين - فامتدحه بقصيد فريد أوله :

أهلا بطيف خيال منك منسابٍ أدال عتبك عندي حين إعتابي

/ يقول فيه : [١٧٦-ب]

لا درّ درّ ليالى البعد من زمين يطول فيه اجتراع الصبّ للصابِ
نابت صروف نبا بى عندها وطنى قرعت نابی لها من رحلى النابی
جوابة الأرض لا أوى على سكنى [تمضى] الركاب وتجرى بى لتجوابى^(٣)
فى الفلك أوفى ظهور العيس منتقلا فى مذهب اللب بين الموج واللاب^(٤)
لا أستكن بكانونٍ اقربتہ ولست آبى من التهجير فى آب

(١) شجب يشجب شجوبا ، وشجب يشجب شجبا فهو شاجب : حزن أو هلك . والشجب
عموماً العطب والهلاك (اللسان : ٤٦٥/٢) .

(٢) أبو بكر محمد بن أحمد بن الصابوني الإشبيلي ، ويلقب أيضاً بالصدفى : من أكبر
شعراء الأندلس خلال النصف الثانى من القرن السادس الهجرى ، ظهر فى عصر الموحدين واعتنى
به المأمون الموحدى (أبو العلا إدريس بن أبي يوسف يعقوب) فظهر أمره . وقد اشتهر بالتجويد
فى الموشحات ، ورحل فى آخر أيامه إلى مصر فمات فى الإسكندرية خاملا سنة ٦٠٤ كما يقول ابن
شاکر فى الوفيات (القاهرة ١٢٨٣) ج ٢ ص ٢٠٩ . وواضح أن هذا التاريخ خطأ ، لأن
المأمون حكم من ٦٢٤ إلى ٦٢٩ ، وربما كانت صحة السنة ٦٣٤ . انظر طرفاً من موشحاته فى
أزهار الرياض للمقرئ ، (انظر الفهرس) وشيئاً من شعره فى نفح الطيب (٣٤٨/٢ - ٣٤٩ من طبعة
أوربا) ، وانظر المغرب لابن سعيد : ٢٦٣/١ وتعليق الدكتور شوقى ضيف ، ونيكل ، الشعر
الأندلسى ، ص ٢٤٧ ، والرايات ، ص ٢١ من النص العربى وص ١٤٨ من الترجمة الإسبانية .

(٣) بياض فى الأصل ، ووضع دوزى هنا (ص ٢٥٠) : تشجى .

(٤) اللاب جمع لوبة وهى الحجارة السوداء فى أعلى الجبل ، والكناية هنا عن الجبال ،
أى بين الأمواج والجبال (اللسان : ٢٤٢/٢) .

فكن بإدلاجٍ تأويبي على ثقةٍ من أوبتي - شجورِ أعداء - لأحباب^(١)
ويأمنني بريبِ الدهرِ يرهْبُهُ لا تبتئس بعدُ من إرهابِ إرهاب
إن أغريت بك أبكارُ الخطوبِ فلذُ منها بمجد أبي بكر بن خطاب
بالسيد الأوحْدِ النَّدْبِ الذي كملتُ به العـلا بين أخلاق وأحساب
يلقى به سائلاً جودٍ ومعرفةٍ طبّاً بتلقيح أحوال وألباب
بحرٍ من العلم يسقى من يُلْمُ بهِ ويرسل الشَّجْبَ للنائي بتسكاب
وعند ما راعتِ الدنيا إيالتهِ [... ..]^(٢)
نام الأنام سكوناً بالعمى وهفت بالمال هيبةٌ غمر الجود وهاب
ومنه :

لولا اعتناء عزيزٍ ما عززتُ على دهري وقد بزَّ لَمَّا عزَّ أسلابي
تقلّبتُ حركاتُ الدهرِ بي غيراً حتى كائى منها حرفُ إعراب
ثم انفرد بتدبير مُرْسِيَةٍ بعد وفاة ابن هُود ، وطرد عنها أخاه عليّ بن يوسف - الملقب بعُضد الدولة - ودعا لنفسه ، وبويع له في الرابع من الحرم سنة ست وثلاثين . وتغلب عليه أبو جَحِيل زيان بن مدافع بن يوسف بن سعد الجذامي في يوم الجمعة الخامس عشر من شهر رمضان من السنة ، واعتقله قليلاً ثم قتله صبراً على أثر ذلك ليلة الاثنين السادس / والعشرين من الشهر .

[١٧٧-١] وكان - في أول أمره - أبعد الناس مما صار إليه وتورط فيه : يؤذّن في

(١) ورد الشطر الأول في الأصل هكذا : « فكن بإدلاجي وتأويبي على ثقة » ولا يستقيم وزنه هكذا فتومته ، أما الشطر الثاني فقد قرأه دوزي (ص ٢٥٠) : « من أوبتي سحر عدى لأحبابي » ، ولا أدري من أين أتى بهذا .
(٢) بياض في الأصل .

المساجد ويحيك الحلفاء^(١) ، ويصحب المتعبدين ، والرئاسة تُهيب به لاحتيازه إياها من طرفيه ، فمالث أن أجابها مقبلاً عليها ، ومهرولاً إليها ، ليكون فيها حنقه ، والله غالب على أمره .

وأخواله بنو عيسى الخولانيون فتیان الصباح ، وفرسان الكفاح . وأما آباؤه فكفاهم مجداً تالداً ، وذكر أخالداً ، ما حكى ابن حَيَّان في تاريخه الكبير — وقرأته بخط القاضي أبي القاسم بن حُبَيْش — أن أبا عمر أحمد بن خطاب — وهو المعروف بالخازن — ضيف محمد بن أبي عامر ورجال عسكره في اجتيازه إلى برشلونة ، فجاء في الاقتدار على ذلك بما صار حديثاً بعده . وكان في نهاية من الثراء والسر والسماحة ، مخصوصاً بصداقة ابن شهيد .

قال : وكان ولده أبو الأصْبَغ موسى يحتذى حذوه في الدهقنة ، وهو الذي ضيف أيضاً طرفة الخادم مولى عبد الملك بن أبي عامر ورجاله في اجتيازه به غازیاً : قوم أعانهم على الحسب الثراء ، فلهم في الفضل مقاوم مذكورة . وهم موال لبني مروان — من ولد عبد الجبار ، الذي يُنسب إليه الباب المسدود من أبواب قرطبة — وخلفهم اليوم يدفعون ذلك ، ويزعمون أنهم عرب من الأزد ، تمولوا للقوم إيثاراً للدنيا ؛ فالله أعلم بذلك .

وحكى ابن حَيَّان أيضاً في « الدولة العاصرية » ، وذكر غزوة المنصور محمد ابن أبي عامر إلى برشلونة — في سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ، وهي الثالثة عشرين من غزواته — فجعل طريقه على شرقي الأندلس ، وسلك طريق البيرة إلى بسطة إلى تدمير ، فتضيف بمدينة مُرسية قاعدة تدمير المعروف بابن خطاب — ولم يُسمه ، وكان ذا نعمة ضخمة وصنيعة واسعة ، وهمة عالية — فكث عنده ثلاثة عشر يوماً ، يقوم به وبجنده وبخدمته جميعاً على مقاديرهم ،

(١) وردت هاتان الكلمتان في الهامش بخط مخالف كأنها إكمال للكلام . وقد قراهما دوزي : ويفتنى الحلفاء .

وُنفذ إلى باب كل واحد منهم كل يوم وظيفة من الدقيق واللحم والفاكهة والقضيم^(١). وصار جميعهم في كفالة ابن خطاب ما بين الوزير والشرطيّ ، فلم ينفق أحد منهم لنفسه طول هذه المدة مثقال ذرة . وكان يحدد للمنصور كل يوم نوعاً من [١٧٧-ب] الأطعمة والفواكه لا يشبهه / الذي قبله . نعم ، وزعموا أن ظروفه وأوعيته كانت تختلف بحسب اختلاف أنواعه . إلى أن رحل ابن أبي عامر متعجباً بما تبرع به ، مستغرباً لمذهبه في التحدث بنعمة ربه ، بعد أن أثنى عليه ، وحطّه جملةً من خراج ضياعه ، وأمر له بكساً ولجاعة بني أمية .

قال : وسأل المنصور ابن خطاب أن يعمل له بقرطبة خبيصاً استجاده من حلوائه ، فأنفذ إليه جاريةً اتخذته في قصره ، فقارب التدميرى ولم تكمل صفاته ، فحكم للهواء^(٢) في تجويده .

وكان المنصور — فيما بعد — يصف نعمة ابن خطاب وسرّوه ويقول : « هي أحق نعمة بالحفظ ، وأولاها بالزيادة ، لسلامتها من الغمط ، وبعدها من الجحود ، وقيامها بفرض الزكوة » ، ويوعز إلى عماله بتدمير بحفظ أسبابه وتحرّى موافقته . والأخبار عنه في ذلك طويلة .

وقال أبو بكر أحمد بن سعيد بن أبي الفَيّاض — ويعرف بابن الغشاء — في تاريخه المترجم بـ « العبر » وذكر أيضاً غزوة المنصور إلى برشلونة : خرج إليها من قرطبة يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة خلت لذي الحجة من سنة أربع وسبعين وثلاثمائة ، وهو الخامس من مايه^(٣) ، وأخذ على البيرة إلى بسطة إلى

(١) القضيم : شعر الدابة .

(٢) الأصل : فحكم للهوى في تجويده ، ولا معنى له ، فجعلتها كما هي في المتن . والمراد أن السبب في امتياز الخبيص الذي أكله في تدمير على الذي صنع له في قرطبة هو هواء تدمير .

(٣) الأصل : الخامس من مائة ، وهو وهم ، والصحيح : من مايه ، وهو الشهر المعروف . وحساب ابن أبي الفياض هنا قريب من الصحيح ، لأن ١٢ ذى الحجة ٣٧٤ يقابل ٧ مايو ٩٨٥ .

لُوزَقَةَ إِلَى مُرْسِيَّةَ ، فَأَقَامَ بِهَا ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ يَوْمًا فِي ضِيَاةِ أَحْمَدَ بْنِ دُحَيْمٍ ^(۱) ابْنِ خَطَّابٍ وَابْنِهِ أَبِي الْأَصْبَغِ مُوسَى بْنِ أَحْمَدَ ، لَمْ يَنْفَقْ أَحَدٌ مِنْ عَسَاكِرِهِ لِنَفْسِهِ دِرْهَمًا وَاحِدًا فَمَا فَوْقَهُ ، مِنَ الْوَزِيرِ إِلَى الشَّرْطِيِّ . وَكَانَ يَجِدُّ كُلَّ يَوْمٍ لِلْمَنْصُورِ نَوْعًا مِنَ الطَّعَامِ وَالْفَوَاكِهِ ، بِآلَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ كَاخْتِلَافِ الْأَطْعِمَةِ وَالْفَوَاكِهِ ، حَتَّى صَارَ خَبْرًا فِي حَدِيثِ الْمَنْصُورِ ، وَمَفْتَخَرًا عِنْدَهُ يَبَاهِي بِهِ . وَبَلَغَ أَمْرُهُ إِلَى أَنْ صَنَعَ لَهُ مَاءَ الْحَمَامِ مِنْ مَاءِ الْوَرْدِ ، وَأَبْلَغَ فِي الْإِفْرَاطِ فِي ضِيَافَتِهِ ، فَكَانَ الْمَنْصُورُ يَصِفُهُ — فِيمَا بَعْدَ — وَيَقُولُ : « نِعْمَةُ ابْنِ خَطَّابٍ أَحَقُّ نِعْمَةً بِالْحِفْظِ ، وَأَحْرَمُهَا عَلَى التَّغْيِيرِ ، وَأَوْلَاهَا بِالزِّيَادَةِ وَالتَّثْمِيرِ ، لِسَلَامَتِهَا وَبُعْدِهَا مِنَ الْجُحُودِ ، وَقِيَامِهَا بِفَرْضِ التَّزْكِيَةِ » ، وَكَانَ يُوصِي عَمَالَهُ عَلَى تَدْمِيرِ بِحْفَظِ ابْنِ خَطَّابٍ وَتَحَرُّيِ مُوَافَقَتِهِ فِي كُلِّ مَا يَرْغِبُهُ .

ومن شعر أبي بكر في الطريقة الصوفية :

[١٧٨ - ١] / لِي حَبِيبٌ أَرَاهُ فِي كُلِّ آنٍ هُوَ أُنْسِي وَبَغِيَّتِي وَجَنَانِي
رَامَ قَوْمٌ أَنْ يَحْبِبُونِي عَنْهُ فَاخْتَفَى عَنْ عَيُونِهِمْ وَأَتَانِي
فَأَنَا وَالْحَبِيبُ مُتَصِلَانِ وَبَطْنُ الْوَشَاةِ مُنْفَصِلَانِ
فَإِذَا مَا سَكِرْتُ لَمْ أَرِ غَيْرِي وَإِذَا مَا صَحَوْتُ فَالْحُبُّ ثَانِ
جَلَّ سُكْرِي عَنْ أَنْ تَرَاهُ عَيُونٌ حُجِبَتْ بِالْحُرُوفِ دُونَ الْمَعَانِي

وهذا ينحو إلى قول الآخر :

أَقْصِرُوا عَنْ لَوْمِكُمْ يَا أَوْمَةَ وَذَرُوا الْقَلْبَ وَمَنْ قَدْ تَيَّمَهُ
إِنْ مَنْ أَمْرُضَ قَلْبِي حُبُّهُ قَادِرٌ إِنْ شَاءَ يَوْمًا رَحِمَهُ
لِي حَبِيبٌ يَقْبَلُنِي سَحْرًا وَلِأَهْلِ الْوَدِّ بَعْدَ الْقَتْمَةِ

(١) الأصل : ابن دحم ، والصحيح ما أثبتناه .

خالقُ العرش مع الفرشِ فقد فهم المقصود من قد فهمه
وما أحسن قول أبي العباس بن العريف الزاهد في هذا المنحى :
فاح الندى بمنطقى فتنازعوا أبا سحيل أستاذك أم بأراك
هيات عهدي بالسواك وإنما شفة الحبيب جعلتها مسواكي
ويظن من سمع الحديث بأنه حق .. بلى ومدبر الأفلاك
رؤيا رأيت وإن من أبصرته لمزه عن مهنة الإدراك^(١)

١٦٨ — محمد بن علي بن أحلي ، أبو عبد الله

تأثر بلوزقة متقلدا إلى الرئاسة من الدراسة . وكان يجتمع إليه في علم الكلام ،
ويؤخذ عنه ، وله فيه تواليف . وبيته في المولدين تليدُ الفباة — وبذلك استعان
على مراره — إلى ما لأهل بلده من بأس شديد ، وكثرة عديد .

[١٧٨ـب] ولما أمكن أهل مرسية منها الروم في شوال / سنة أربعين وستمائة ، ضلل
رأيهم ، وأبدى مخالفتهم ، وجعل يجادلهم بأسانه ، ويجادلهم بسنانه ، فدعا ذلك إلى
قصده ، والعيث في جهته ، حتى اضطر إلى المسالمة ، وعلى ذلك بقي إلى أن توفي في
أول سنة خمس وأربعين^(٢) . وله أشعار بمقصده شاهدة ، وعلى معتقده متواردة ،
منها قوله :

(١) أورد ابن الخطيب في أعمال الأعلام (ص ٢٧٤ — ٢٧٥) مادة طيبة عن أبي بكر
عزيز بن أبي مروان بن خطاب ، فيها زيادات نافعة .

(٢) لم أجد في المراجع ما يعين على التأكد من صحة قراءة اسم صاحب هذه الترجمة : ابن
أحلي . وحوادث مرسية في أيامها الإسلامية الأخيرة غامضة ، حتى التواريخ متناقضة ، رغم =

== ما بذله جسيهار ريمير وفي كتابه الذي أشرنا إليه مراراً عن تاريخ مرسية الإسلامية ، وقد ظهرت بعد هذا الكتاب أصول عربية كثيرة تعيننا على إلقاء شيء من الضوء على ما وقع في تلك الكورة العظيمة - كورة تدمير - قبل خروجها من دار الإسلام . وفيما يلي ملخص لما استطعت الوصول إليه :

أ - كان آخر كبار ولاية مرسية من الموحدين أبا عبد الله محمد بن أبي يعقوب المنصور الذي قام على عمه عبد الواحد بن أبي يعقوب يوسف ونادى بنفسه خليفة وتلقب بالعدل ، وترك في مرسية السيد أبا العباس بن أبي موسى بن عبد المؤمن ، وهو الذي قام عليه محمد بن يوسف بن هود في الصخيرات على مقربة من مرسية ، ثم دخل ابن هود مرسية في رجب ٦٢٥ / يونيو ١٢٢٧ وأصبحت مركز أعماله .

ب - وفي ٢٤ جمادى الأولى ٦٣٥ / ١٤ يناير ١٢٣٨ مات محمد بن يوسف بن هود قتيلاً على يد رجل من رجاله هو عبد الله الرميمي الذي كان قد ولاء على المرية ، قتله بسبب المنافسة على امرأة : احتال عليه حتى دخل عنده بما عرف عنه من سلامة النية ، ثم أدخل عليه الرميمي رجالاً خنقوه . وكان محمد بن يوسف بن هود - على شجاعته وحسن نيته - سيئ الحظ في رجاله ، لم يخلص له أحد منهم (راجع البيان المغرب : ٤ / ٣٨٩) .

ج - وبعد موته بايع أهل مرسية ابنه أبا بكر وتلقب بالواثق بالله ، ولم يكن له شيء من ملكات أبيه ، فلم يحكم إلا سبعة أشهر ، وعزله أهل بلنسية وولوا قاضيه وفقيههم سريز بن خطاب الذي سبق أن ترجم له ابن الأبار . وكانت المبايعه له في ٤ محرم ٦٣٦ وتلقب بضياء السنة .

د - ولم يستقم الأمر لعزير بن خطاب ، فقام عليه الناس واستدعوا صاحب بلنسية أبا جميل زيان بن مردنيش ، فدخلها في ١٦ رمضان سنة ٦٣٦ ودعا فيها للأмир أبي زكريا الحفصي صاحب تونس . وكان أبو بكر بن محمد بن يوسف بن هود عندما أخرج من مرسية لجأ إلى القشتاليين فأعطوه حصناً مجاوراً لمرسية وزودوه بجند ، فضى يغاور البلد فكان أشد ضرراً من الروم على أهل مرسية » (البيان : ٤ / ٤٣٦) .

هـ - وحوالي سنة ٦٤٠ / ١٢٤٢ ساءت أحوال مرسية بسبب مغاورة القشتاليين لجهاتها . وكان محمد بن نصر بن الأحمر قد دخل في طاعة فرناندو الثالث وحالفه على ألا يتعرض لجنوده وأن يمدّه بجند من عنده حتى في حالة حصار بلد مسلم ، وقد اشترك ابن نصر في الحملة التي استولت على إشبيلية وأخرجتها من دار الإسلام . وانتهى الأمر بأهل مرسية إلى أن عاهدوا القشتاليين على الدخول في طاعتهم نظير جزية يدفعونها ، وأسلموا لهم قصبة البلد ، وهذا هو ما احتج عليه ابن أحلي المترجم له هنا . ثم ثار المرسيون على القشتاليين المستقرين في القصبة ، وحاصروهم وأخرجوهم من بلدهم ، وكتبوا إلى محمد بن نصر يدخلون في طاعته ، فأرسل إليهم أبا محمد بن أشقيلولة والياً ، فهاجمه القشتاليون وضيقوا عليه ، فخرج هارباً تاركاً المرسيين دون حماية ، ==

المرء يعلم بالضرورة نفسه
والثابت الموجود حتى واحد
والخلق بين حقيقة ومقدّر
تقضى عليه بالافتقار شواهد
فانظر بعقلك إن بدا لك شرح ذا
ك فأنت خير مستقيم راشد
وأنشدني له بعض أصحابنا :

تقطعت الأسباب ثم بقيت لي
فهل أشتكى يوماً من الذل والفقر ؟
لئن لم يكن منك البعاد فإنني
سيعيطنني أهل الملامة في أمرى
فلو عرفوا منك الذي قد عرفته
للاح لهم تفريطهم ، وبدا عذرى
سواء - لعمرى - ذمهم وثناؤهم
إذا كنت تدري من عبيدك ما تدري
وله :

خليلى قد ضاقت على مذاهبي
وكفكفت نفسى عن جميع مطالبى
وضاقت جفون العين عن عبراتها
لأمر يراه الخبير ضربة لازب

= فزعهم رجل من كبارهم تسميه المراجع اللاتينية Abenhodeil أى ابن هذيل . ولم يستطع الاستمرار ، ويبدو أنه كان يخاف من بنى الأحمر ، فاتصل برجال فرناندو الثالث وعلى رأسهم پلاى پيريت كوربا Pelay Pérez Correa وتعاهد معه على إسلام البلد مع ضمان السلامة فى المال والنفس ، ودخلت مرسية فى ٩ ذى القعدة ٦٤٣ / آخر مايو ١٢٤٣ وأسرع فرناندو الثالث ليتسلم البلد ، وتم ذلك خلال السنة التالية ٦٤٢ / ١٢٤٤ .

و - وقد أساء فرناندو الثالث ورجاله أشد الإساءة إلى هذا النفر من المرسيين الذين استسلموا فى الدفاع عن بلدهم . ويقول ابن عذارى إنهم خرجوا من مرسية واستقروا فى موضع يسمى الرشاقة (لم أستطع تحقيقه) ، ثم طردهم القشتاليون منه سنة ٦٧٣ / ١٢٨٤ - ١٢٨٥ وفى الطريق هاجمهم وأنزلوا بهم مذبة عند وركال Huerca Overa فى الطريق إلى غرناطة وأسروا نساءهم وقتلوا أطفالهم بعد أن قضوا على الرجال جميعاً .

انظر بالإضافة إلى الصفحات آفة الذكر من البيان المغرب ، الترجمة الإسبانية بقلم أويس ميراندا ، ج ٢ ص ٢٨٧ وبايستيروس ، تاريخ إسبانيا ، ج ٣ ص ١١ - ١٣ . ويلاحظ أن ابن عذارى يخطئ هنا فى التواريخ (ج ٤) .

وَشِبْتُ وَلَمْ أَبْلُغْ ثَلَاثِينَ حِجَّةً لُحْجَةً جَبَّارٍ عَلَى الْخَلْقِ غَالِبٍ
دَعَانِي وَشَجَوِي وَالْأَسَى وَبَلَابِي فَلَا تَعْذِلَانِي فِي الدَّمْعِ السَّوَائِبِ
أَلْتَذُّ بِالْأَنْبِيَاءِ وَأَرْنُو لِحْسِنَهَا وَلَسْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَوْتِي بِآيِبِ
لَعَمْرِي أَقْدَ أَصْبَحْتُ سَكْرَانًا حَائِرًا جَدِيرًا بِمَا عِنْدِي ، وَلَسْتُ بِشَارِبِ

١٦٩ - محمد بن سبيع بن يوسف بن سعد بن

محمد بن سعد الجذامي ، أبو عبد الله

وَلَى دَانِيَةَ لابن عمه أَبِي جُمَيْلِ زِيَّانَ بْنِ مُدَافِعِ بْنِ يَوْسُفِ أَمِيرِ بَلَنْسِيَّةَ ،
وَانْتَزَى عَلَيْهِ / فِيهَا ، ثُمَّ هَرَبَ وَأَسْلَمَهَا ^(١) . وَكَانَ قَدْ انْتَزَى قَبْلَ ذَلِكَ بِمُرْسِيَّةَ ، [١-١٧٩]
فَقُيِّدَ وَاحْتُمِلَ إِلَى مَرَّاكُشَ ، وَحُبِسَ بِهَا مَدَّةً . وَلَهُ مِشَارَكَةٌ فِي الْأَدَبِ وَمِطَالَعَةٌ
لِغَيْرِهِ ، وَمِنْ شَعْرِهِ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقُرْبَ دُونَ مَنَالِهِ عَوَانِقُ دُنْيَا تُلْحِقُ الْحَرَّْ بِالتُّرْبِ
تَوَجَّهْتُ لِلْمَحْرَابِ أَبْغَى وَجَاهَةً لَعَلِّي بِهَا أَرْقَى إِلَى رُتْبَةِ الْقُرْبِ

(١) كَانَتْ دَانِيَةُ مِنَ الْبِلَادِ الَّتِي دَخَلَتْ فِي طَاعَةِ مُحَمَّدِ بْنِ يَوْسُفِ بْنِ هُودَ ، فَلَمَّا تَوَالَتْ عَلَيْهِ الْمُزَاوِمُ - وَخَاصَّةً مِنْ نَاحِيَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَصْرٍ بْنِ الْأَحْمَرِ ، فَقَدْ أَوْقَعَ بِهِ كَمَا يَقُولُ ابْنُ الْخَطِيبِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَخْرَاهُنَّ سَنَةَ ٦٣٣ أَوْ ٦٣٤ ، ثُمَّ هَزِيمَةُ الْأَمُونِ أَبِي الْعَلَاءِ إِدْرِيسَ الْمُوَحِّدِي إِيَّاهُ سَنَةَ ٦٣٥ ، وَفَقَدَهُ مَعْظَمُ كِبَارِ الْعَوَاصِمِ الَّتِي كَانَتْ فِي يَدِهِ مِثْلَ إِشْبِيلِيَّةَ وَقَرْطَبَةَ وَقَرْمُونَةَ - خَرَجَ عَلَيْهِ أَبُو جُمَيْلِ زِيَّانُ بْنُ مَرْدَنِشَ وَاسْتَقْبَلَ بِبَلَنْسِيَّةِ وَمَدَّ سُلْطَانَهُ عَلَى دَانِيَةِ وَوَلَّى عَلَيْهَا ابْنَ عَمِّهِ مُحَمَّدَ بْنَ سَبِيعِ ابْنَ يَوْسُفِ بْنِ مَرْدَنِشَ الْجَذَامِي الْمَذْكُورَ هُنَا ، وَأَخْرَجَ مِنْهَا وَالِي ابْنَ هُودَ أَبَا الْحُسَيْنِ يَحْيَى بْنَ أَحْمَدَ ابْنَ عَيْسَى الْخَزْرَجِي الَّذِي سَبَقَتْ التَّرْجُومَةُ لَهُ ، ثُمَّ تِمَكَّنَ أَبُو الْحُسَيْنِ مِنَ الْعُودَةِ إِلَى دَانِيَةِ وَإِخْرَاجِ مُحَمَّدِ بْنِ سَبِيعٍ ، فَضَى إِلَى تُونِسَ حَيْثُ تَوَفَّى فِي ٢٨ رَجَبِ الْأَوَّلِ ٦٥٣ / ٦ يُونِيُو ١٢٥٥ .

وتوفي بحضرة تونس — كلاًها الله — في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وستمائة .

١٧٠ — سعيد بن حكم بن عمر بن حكم القرشي ، أبو عثمان

أصله من طَبِيرة^(١) بغرب الأندلس ، وبها وُلد . وكان بإفريقية لما خاف من والي إشبيلية ، ثم قدم على مَيُورقة قبل أن يدخلها الرومُ عنوةً في منتصف صفر سنة سبع وعشرين وستمائة بيسير ، فقدم منها عاملاً على مَنُورقة ، إلى أن تغلب على قاضيا أبي عبد الله محمد بن أحمد بن هشام — وقد صارت إليه رئاستها — في قصة طويلة ، وانفرد بضبطها من ثاني عيد الفطر سنة إحدى وثلاثين وستمائة إلى وقتنا هذا . وأخرج ابن هشام وابنه ، ثم استرجعهما ، فكان ذلك آخر العهد بهما .

(١) طَبِيرة : لم يزد ياقوت في التعريف بها على قوله : مدينة بالأندلس (٢٩/٦) وذكرها الإدريسي (ص ١٦٩) ، واختلط أمرها على ابن عبد المنعم الحميري فلم يعرف هل هي طَبِيرة أم طَبِيرة (الروض رقم ١١٢ ص ١٢٣) . والمراد مدينة Taveiro في مديرية الدويره ، وتابعة لقلعة مَريّة Coimbra من الناحية الكنسية ، وهي على بعد كيلومترين من مصب نهر مَنُديق Mondego على البحر قرب حدود إسبانيا مع البرتغال ، وتبعد ٨ كيلومترات عن قلورية .

انظر : دائرة المعارف الإسبانية (إسباسا كالب) مجلد ٩٤٧/٥٩ .

وهناك طَبِيرة أخرى في الأندلس ، وتكتب Tavira في البرتغال أيضاً ، مركز إداري في مديرية الغرب Algarve وهي على ساحل البحر على ٦٠ كيلو متراً غرباً فارو (شنتمرية الغرب) . ولا أدري من أيهما كانت أولية سعيد بن حكم المترجم له هنا .

ودُعي بـ « الرئيس » ، وشارط الروم على متاركته ، وبثّ مساكنته ،
بإتاوة لم يُخلّ بحملها إليهم في كل سنة . فامتدّ مَهْلُهُ ، وحُمِدَت سيرتُهُ ، وكثر
الانتفاع به في جزيرته ، حتى يُمَّتَّ منتَجَمًا ، وصارت للمنقطع به مَفْزَعًا .
وأما العُناة فكأنما فكَّهم عليه دين ، هذا ولا وِرْق بنواحيه يتسع فيه
ولا عَيْنٌ ^(١) .

(١) أورد ابن عبد المنعم الحميري في مادة ميورقة (رقم ١٨٢ ص ١٨٨ وما بعدها)
تفصيلاً طيباً لبعض أحداث الجزائر الشرقية في آخر عصرها الإسلامي . وقد ضاعت هذه الجزائر
كما ضاع الأندلس على إثر التفكك العام لدولة الموحدين في الأندلس بعد ثورة أبي عبد الله محمد
ابن يعقوب المنصور الملقب بالعدل على عمه عبد الواحد الملقب بالملخوع . وقد فصل ضياع هذه
الجزر ألبارو كپانير إلى فُورْتيس في كتاب جامع لتاريخ الجزائر الشرقية في حكم المسلمين :

ALVARO CAMPANER Y FUERTES, *Bosquejo histórico de la dominación islamita en las Islas Baleares* (Palma, 1888).

وتناول الكلام عنها في عصر المرابطين كوديرا :

FRANCISCO CODERA, *Almorávides*, p. 167 - 178.

وتكلم عنها في العصر الموحدى وفصل الحديث عن دولة بنى غانية فيها ألفريد بل :

ALFRED BEL, *Les Banou Ghanya* (Paris, 1903).

وخاصة الفصل التاسع (ص ١١٧ وما يليها) حيث يروى نهاية دولة بنى غانية واستيلاء
الناصر الموحدى عليها سنة ١٢٠٣/٦٠٠ - ١٢٠٤ وقلته آخر ولايتها من ذلك البيت - عبد الله بن
غانية - وإقامته الفقيه عبد الله بن طاع الله الكومي ثم استبدا له بالسيد أبي زيد بن أبي يعقوب يوسف .
وأحسن ما لدينا عن جغرافية هذه الجزائر أيام العرب جمعه زايبولد في مادة بليار *Baleares*
في د.م.ا (١/٦٣٠ - ٦٤٠) . وأورد ابن عبد المنعم الحميري مادة لكل من ميورقة ومنورقة
ويابسة ، وهي الجزائر الثلاث الكبرى في ذلك الأرخيل . وقد سقطت الجزائر الشرقية في يد خايمة
الأول الملقب بالفتح ملك أرغون بعد حرب طويلة مريرة ، إذ أنه رغم تفكك القوة الإسلامية
كان هناك من القوة لدى سكانها من المسلمين ما مكّنهم من الصمود للعدوان . وقد سقطت ميورقة
في ١٤ صفر ٦٢١ / أول يناير ١٢٣٠ ، أما منورقة فظلت في يد أبي عثمان سعيد بن حكم المترجم
له ، ثم ابنه أبي عمر حكم بن سعيد حتى سنة ٦٨٦/١٢٨٧ وقد اختص ابن الخطيب كلا منهما بمادة
طيبة (ص ٢٧٥ - ٢٧٧) ، وفي نهاية المادة الخاصة بأبي عمر حكم يقص علينا كيف كانت
نهايته المحزنة غرقاً في البحر مع أهله جميعاً ، وهو في طريقه إلى إفريقية .

وكثير من الأدباء استرقفهم بإعتاقهم ، فنوّهت بصنيعة أمداحهم ، وآخرون
ركبوا إليه ثبج البحر ، ففازت بجميل اصطناعه قداحهم . وبالجملة فالجود المحض
صناعته ، والأدب الغض بضاعته . ومن شعره :

أما الهوى فسجيتي إضماره لولا الدموع لما فشت أسراره
ما عيل بالسكتان صبرى إنما عظم الغرام فضاك عنه قراره
[١٧٩-سب] / ينهل دمي ما تشبّ جوانحي والغصن يندى إذ تأجج ناره
جمعت جياذ الحب بي حتى أتت مضمار قيس والردى مضماره
لله غصن ناعم قلبي له مشوى غدا برداً عليه أواره
أظمأته بالعتب ثم سقيته دمي فأصبح والرضا إثماره
وله :

نقط المداد على برود الكاتب كالخال في خد الفتاة الكاعب
لا شيء يحسن بالمداد كثوبه إن المداد لو شئ ثوب الكاتب
وله :

إني لأعجب من ملوك أصبحوا وهم موالٍ أعبد الشهوات
الأطيان مرادهم ومرادهم : أرب الفروج وإربة اللّهوات
لو وقفوا وقفوا اجتماعهم على نفى الهوى فضلا عن الخلوات
مرت سنون وهم ملاك للورى ياليتهم مروا مع السنوات
ما نحن إلا في فلاة للردى فلتحذر الشهوات في الفلوات